الأعمال الشعرية (٤)

دفء الحنين

دكتور

عبد الحميد محمد بدران

الطبعة الثانية

١٤٤٠ هـ/٢٠١٩ م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠١٩/٢٦٤٩

الترقيم الدولي

٩٧٨ . ٩٧٧ . ٨٥٤٣٥ . ٥ . ٥

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بين يدي الشعر

في يقيني أن الشاعر ليس مطالبا بتسليط الضوء على مناطق البوح في قصيدته الشعرية، بما أنها لا تكون واضحة في شعر الرؤية وضوحها في شعر الموضوع، كما أنه ليس مطالبا برصد أي من الملابسات الحياتية التي صادفت ميلاد قصائده، وإلا صار حواره عن الشعر أضخم بكثير من الشعر ذاته .

إن غاية ما نريد من الشاعر إذا ما أراد الكتابة عن شعره ، أن يحدثنا عن بواعث الشعر ما هي، وعن الصور الشعرية كيف تكونت، وعن البناء الفني للقصيدة كيف استوى على سوقه، وعن المؤثرات الخارجية كيف أثرت، وعن المثبطات كيف تصدى لها، فلا شك أن هذه المفردات الإثرائية يمكن لها أن تشكل المداخل الحقيقية التي يضعها الناقد نصب عينيه إذا ما أراد الكتابة عن الشعر وشاعره في آن معا .

ولكنني سأتخلى عن كل هذه المداخل النقدية وأنا أقدم نفسي ، فماذا عساي أقدّم وبواعث الشعر ما فتئت تدور بي بين الذات والأرض، وكلما أحسست بفقد الذات ودنو الأجل ازددت عشقا لتراب هذه الأرض التي حملت مشاهد طفولتي الحالمة؟، وماذا

عساي أقدم ومن ورائي عصر يموج في (ظُلُمَات بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ)، وكل صورة تقفز إلى مخيلتي أشبه بساعي البريد الذي جاء يحمل إلي خطاب استدعائي إلى الحياة الباقية، وماذا عساي أقدم ولّما أصل بعد إلى طريقة مُثلى في معالجة ما يمور بخاطري من رؤى.

أيها الباحثون عن سنبلات ضوء تنير الدرب، فتكون زادا وأنسا في آن معا، ابحثوا ما شئتم فما عشت إلا قديسا بأودية اللغة التي سالت عشقا وهياما ، درويشا في طرائق بوحها التي طالما سلكها شعراء الغزل وشعراء الرفض، فابحثوا ما شئتم، ولا تنسوا ذلك الشاعر الذي يضم في صدره أفراحه وأتراحه، ومأساته وملهاته، رغم أنه يصدر في تجاربه عن ذات واحدة، تنشد الجمال فترى وجه الأرض واحة غنّاء، سماؤها الأمل وأرضها التسامح وهواؤها الإخاء، ثم تنشد الإباء والأنفة بحكم جينات العروبة التي تجري في دمها، فترفض وتتعالى وتثور وتثأر، لأن ذلك الرفض يعادل جين البطولة الذي يحمله الشاعر الفارس، الباحث عن المثالية في كل بقعة ضوء .

عبد الحميد

تائبـــة

مـن أيـن ؟ لا أعـذار لسـت بصـاحبهْ

فتمســكي بالوعــد وانســي طالبــهْ

وتــذكرى أنــي عشــقت حكايــة

مــرّت علــى شــفتيك ثمــة غاضــبهْ

وقبلــت ثورتــك البريئــة هادئــا

ويــداك تمســح مــا الليــالي كاتبــهْ

وتحجّــرت شــفتاي لا أســفا علــى

دمــع أُريــق ولا لأنــك ذاهبــهْ

لكنّهــا أطــلال ليــل عشــتُه

وحــنينُ أحــلام تــؤرّق هائبــهْ

لا أيــن لا أعــذار لســتُ أُســيغها

كلماتِــك الحمقــاء غــير معاتبــهْ

مُــرّي كــأيّ ســحابة عانقتُهــا

فتمسّــكتْ بــبروق وعــدٍ كاذبــهْ

لا تُــمطري وجعــا كرهــتُ صــبابتي

وتنـــاثرتْ منّـــي الأمـــاني ذائبـــهْ

ثــورى كمــا الاعصــار وانســي لهفــتي

فعيونُـــك الحـــوراء تصـــرخُ تائبـــهْ

خطواتُـــك الحـــيرى تُقـــلُّ مولّهـــا

ذاب الحـــنين بـــه وأغـــرق قاربـــهْ

فثـــوى بجســـر العاديـــات مراقبـــا

نــزف الحــروف علــى أصــائلَ شــاحبهْ

ثــوري معاتبــة علــى حــب مضــى

وتنسّـــكي بفـــم الحكايـــة راهبـــهْ

فطيوفــك الشــقراء قــد خاصــمتها

ومحــوت صــوتك مــن هواتــفَ راغبــهْ

فتمســـكي بوعـــودك الحمقـــاءَ لا

مــأوى لحمــق كــاد يقتــل طالبــهْ

وتـــذكرى أنـــي عشـــقتك طفلـــة

وبرئـــت مـــن ليـــل أضـــلّ كواكبـــهْ

فضـــعي جنونـــك عنـــد آخـــر شـــرفة

جمعتـــك بـــي وأنـــا أردد : كاذبـــهْ

وتســـمّري خلـــف انتظـــار قاتـــل

يـــامن وهبـــت لهـــا الفـــؤاد وصـــاحبهْ

ثـــورى فمـــا أحلـــى ارتعاشـــة أحـــرف

نطقـــت بهـــا شـــفتاك غضـــبى تائبـــهْ

*****

فتى اليقطين

في صفحة العمر سطر مسّه العطب
فأين ثمّ الفتى والأهل قد ذهبوا؟
ولّوا فرادى وأغروا ليل عمرهمُ
وعلّقوا الصبح فيما أبدت الشّهبُ
ولّوا وولى بهم تاريخ هجرته
ومركب هيّن أغروه وانسكبوا
كأنهم بقعة في الموج باهتة
والعابرون بفلك التيه ما وثبوا
وهم ينادون خلف الرّيح شاخصة
أبصارهم لبريءٍ ما له أربُ
في صفحة الماء ألقَوا حبلَ عمرهمُ
والحوتُ مِنْ فعلهمْ بالموجِ يضطربُ
ولا حياةَ بجوفٍ أنّ ساكنُه
لمّا اكتوى بجحيم ضوؤه الرّهَبُ

لـوْ أمهلـوه مـدى مِـن بعـد مـا قنطـوا
لأيقــنَ البحــرُ أنّ الـمـــاءَ مكتئــبُ
ولّــوا فُــرادى علــى شــطآنِ ودّهــم
وفي الضــلوع فتــى الــيقطينِ ينتحــبُ
لا مــاءَ يعصــم مَــن ألقــى بضــاعته
ومــا تــدلّى لحلــم خانَــهُ الطّلــبُ
ولــوا فــأين دمــوع ودعــت رجــلا
لــولاه مــا طعمــوا أوبــا ولا شــربوا؟
ولَــوا فــأين وعــودٌ أهلكــتْ رجــلا
ألقــى عصــاه ولمــا أنصــت انســحبوا؟
يا أمّ موسـى سـرت في الـمـاء روعتـه
فطمــئني البحــرَ أن الــدّمع ينســكبُ
وأنَ موســى ســعى والمــاءُ خاصــمه
حتــى يفــيء لــرهط فيــه مــا كــذبوا

وهـــل رأيـــتِ فتـــى ألقـــوه مبتســـما

فحـنّ جـبٌّ لـه والرّكـبُ قـد هربـوا؟

وهـــل رأيـــتِ فتـــى إن قيـــل لا بلـــدٌ

ألقـى عصـاه فأعلـتْ شـأنه الكتـبُ؟

يـا أمّ موسـى مضـتْ في الـيمّ هيبتـه

فشـــبّ طفـــلا علـــى أمواجـــه يثـــبُ

فـــلا تقـــولى مضـــى والـــريحُ ترقبـــه

فـــالعين تكلـــؤه إن غامـــت الحُجـــبُ

موســـى ســـيرجعُ لا أمّ فترضـــعه

طعـمَ الإيـاب ولا الأمـواجَ يصـطحبُ

موسـى سـيرجع هـل للمـاء أوْبتـه؟

أم ثـأرُ فرعـون في الأمـواج يرتقـبُ؟

فتـى سـيرجعُ ليـت الأهـلَ إن علمـوا

ألقَـوا عصـاه وشَـقّوا المـاء وانقلبـوا

متن الرؤى

على متن الرؤى أنساب ظلاّ
تمثّل للمدى بشرا مُحلّى
فأذّن في طيور الله صبّا
ووضأ وجنتيه هوى وصلّى
عيونُ الشوق إمّا حار عينٌ
لطيف حبيبة في الليل ولّى
وبدرٍ بثّه عبقَ الحكايا
ونامَ بجفن ليلته سِجلاّ
يحاور في الطلول زمان عشق
وعمراً في مرابعها تجلّى
وظبياً يعبرُ الكلمات عدْوا
ويغفو بالمعاني مُستظلاّ
على متن الرؤى وعدٌ وبوحٌ
وشوق كلّما أخفاه دلاّ

وليـــلٌ مـــسّ أشـــواقا عـــذارى
إذا عصـــفَ الفتـــورُ بهـــا أطـــلاّ
وخصـــــلاتٌ معتّقـــــةٌ حنينـــــا
إذا انســـدلت بأنجمـــه اســـتهلاّ
وكـــان يـــودّ أن يُمســـي قريـــرا
بطـــرف العـــين دهـــرا مُســـتقلاّ
علـى مـتن الـرؤى مَـن كـان يـدري
بـــأن الشّـــوق في الأعصـــابِ حـــلاّ
وأنـــي رغـــم كـــلّ البـــوح مـــاضٍ
لمـــنْ ســـكن الجـــوانحَ واســـتحلاّ
فكـــانَ الشـــوقَ في حبـــاتِ عـــيني
وكـــان الضـــوءَ إن ليـــلٌ أهـــلاّ
وكـــان أثـــيرَ مـــا ترجـــوهُ روحـــي
ونـــبضَ القلـــب في جســـدٍ تخلّـــى
فمَـــنْ ذا جـــائري مـــن طيـــف حـــب
أهـــيمُ بـــه فيزجرنـــي لـــئلاّ

طيفها

مــن أي صــوب جــاء ينشــد مرفــأهْ
والمــوج يخــرس مــن بجهــل جــرّأهْ
ليــل مــن الأشــواق أم صــبح بكــى
لمــا رأى ســحب الــوداع معبــأهْ
مــن أي صــوب جــاء يبغــي نجــوة
ممــا رواه المــوج ليلــة أنبــأهْ
هــل كــان طيفــا لا يــرام فبثّــه
حلــم بجبــات الصــبابة أدفــأهْ؟
أو كــان عمــرا مسّــه شــفق الهــوى
فســقاه مــن ســحر الملائــك أضــوأه
يــا طيــفَ مــن أهــواه أتعــب مهجتي
طــولُ الفــراق ودمــع عــيني بــرّأهْ
لا نــوم أرجــو والعيــون نمــا بهــا
مــا لا يطــاق مــن الشــجون المرجــأهْ

ليـل مـن الأشـواق والجـدران بـي

سِـفْرٌ أديـر وجوهـه كـي أقـرأهْ

وطيور عمـري مَـن أبـاح صـياحها ؟

ومَـن اسـتحلّ بهـا الصـباح وجـرّأهْ؟

ونجـوم ليلـي أتعبـت أسـحارها

وتبـوأ البـدر المـسافرُ مخبـأهْ

مَـن علّـم الحلـم المسـافر في دمـي

علـمَ اشـتياقِ الطّيـف إنْ هـو أخطـأهْ؟

مَـن بلّـغ الليـل المحمّـل طيفهـا

أنّ البريـد سـها وخـالف مبـدأهْ؟

مِنْ أي صوب جئتَ يا ملـك الهـوى؟

أم مَـنْ دعـا فيـك الهيـامَ وهيّـأهْ

غَلِّـقْ علينـا البـابَ واثمـلْ نشـوة

فبعشـقنا نطـوي الغـرام لنُنشـئهْ

صلاة الوجد

أيهـــا الســـائل عنـــا والعـــذابات ثقـــال
والخيـــالات ســـكارى والفراغـــات انشـــغال
والمواقيـــت احـــتراق واللقـــاءات احتمـــال
كلمـــا أوغلـــت فيهـــا نـــازع الشـــوق الســـؤال
أيهـــا الســـائل عنـــا لـــيس فينـــا مـــا يقـــال
في صـــلاة الوجـــد منـــا تمتمـــات مـــن ظـــلال
وخشـــوع مـــن حـــنين وخضـــوع مـــن دلال
وتســـــابيح المـــــآقي وتواشـــيح الوصـــال
ووضـــوء مـــن رضـــاب واغتســـال بالجَمـــال
أيـــن منـــا كـــل مـــاض كـــان في الحلـــم المحـــال
ورجـــاءات عـــذارى غرهـــا ســـحر الخيـــال
أيهـــا الســـائل عنـــا منـــذ أغرانـــا الجـــلال
إننـــا جئنـــا لنبقـــى في خشـــوع ونضـــال
فاســـل إنـــا قـــد ســـلونا يـــوم أتقنـــا الفعـــال

وبرئنـــا مـــن عهـــود لم نـــذق فيهـــا المـــآل
نحـــن صـــلينا صـــلاة غرهـــا الشـــوق فطـــال
وتخلينـــــا وذبنـــــا في حـــــنين لا ينـــــال
فـــانس ماضـــينا وأذّن لغـــرام مـــن وصـــال
وابتعـــد شـــيئا فشـــيئا وامش من وجـه الليـال
وســـأعطيك الأمـــاني وملايـــين الحبـــال
ليظـــل الشـــوق فينـــا ينفـث السـحر الحـلال

دفء الهوية

مـــاذا أقـــول وأنـــت دفءُ لســـاني؟
ومكـــامن الإحسٍـــاس في تبيـــاني
وعذوبـــة الـــتفكير حـــين تفـــرّ مـــن
شـفة الحـروف علـى أصـيل جنـاني
ورســول حــرفي حــين أرســل لهفــتي
مكســـوة بالشـــوق والتحنـــان
وبـــراق شـــوقي في مجاهـــل رحلـــتي
في دفـــتر التكـــوين والنســـيان
مـاذا أقـول وقـد عـبرت مـدى المـدى
وحفـــرتِ سمتـــك أحرفـــا ببيـــاني
وعلـــى يـــديك تنزلـــت آيُ الهـــدى
وفـداك مـن ذِبـح مضـى قربـاني
وحمتـــك أفئـــدةٌ رأوك ســـفينهم
مـــن قســـوة الأمـــواج والشـــطآن
ورأوك مجـدا حصـنه مـن أحـرف
مخضـــرّة الأوراق والأغصـــان

ورأوك صـــبحا بـــث دفء حروفـــه

وتـــــدثرت بضـــــيائه جـــــدراني

أنـا مـا عشـقتك بـل عشـقت هـويتي

حـــين اســـتوت بســـفينها أوطـــاني

أنَّـــي ذهبـــتُ فأنـــتِ قبلـــة أحـــرفي

ومناســـــك الإســـــلام في شـــــرياني

أنَّـــي ذهبـــتُ فأنـــتِ جـــين عـــروبتي

وتـــــدفق الإذعـــــان في تحنـــــاني

أنَّـــي ذهبـــتُ فأنـــتِ أعظـــم رفعـــة

مـــن حكمـــة الإغريـــق والرومـــان

أنَّـــي ذهبـــتُ وكلمـــا اجتهـــد العـــدى

أكـــبرتُ حرفـــك أن يخـــون لســـاني

لغـــةً أردتـــك فاســـتحلت عقيـــدةً

لا تقبـــل التشـــكيك في البرهـــان

لغـــةً أردتُـــك فاســـتحلت حبيبـــة

ألهبـــتِ بالتهيـــام كـــلّ كيـــاني

لغــة مــن الزيتــون غصــن نمائهــا
أوراق ســـلم في كتـــاب أمـــان
غنــى بهــا التــاريخ لحــن صــموده
في حمحمـــات الخيـــل والإذعـــان
وتســنّمت وجــهَ الحيــاة حروفُهــا
عربيـــة القســـمات والألـــوان
فبــأي بهتــان رمــوك وأحــدثوا
إفـك الفنـاء ونـبضُ حرفـك شـاني؟
وبـــأي زور أغرقـــوك وأغفلـــوا
مجـــدا وتاريخـــا وآي بيـــان
وبـــأي أشـــواق أســـطّر لهفـــتي
وأذيـــب فيهـــا أنفســـا بمعـــاني؟
وبـــأي محـــراب أيمّـــم قـــبلتي
شــطر التقــاء الحــرف في إنســاني
وبـــأي أدواء أطبّـــب لهفـــتي؟
يـــا حكمـــة الـــرحمن في القـــرآن

*****

مقام العشق

في خلـوة العشـق قلـبٌ هـام فاعترفـا
منزّهـــا دمعـــه في الشـــوق أن يكِفـــا
مســـبّحا عينُـــه في جـــوف لهفتـــه
وفي اللســـان جـــوى مـــن حرفـــه رَعَفـــا
مقيّـــد الخطـــو إلا مـــن تلفّتـــه
ولـــيس يحزنـــه أن قيـــل : وا أســـفا
يفـتّش الليـل عـن شـوق ليبذلـه
مصـباح وَجْـد إذا مـا بـدره كُسِـفا
وقـــائمٌ قاعـــدٌ إن شـــئت تدركـــه
ألهمـتَ عينـك مـن بعـد الرضـا كلفـا
في خلـوة العشـق إرهـاصٌ بأسـئلة
وحضـــرةٌ تبـــتني مـــن فضـــةٍ سُـــقُفا
بـين المريـد ومَـنْ يهـوى مهاتفـةٌ
يسـعى لهـا في الـدجى مـن ذاق واعترفـا

فمـــا لشـــفراتها جـــينٌ ليكشـــفها

ولا لحراســـها إن جـــاوزتْ شُـــرفا

سماؤهـــا بعـــض أضـــواء ممغنطـــة

وقشـــعريرة وجْـــدٍ تفضـــح اللّهفـــا

في خلـــوة العشـــق درويـــشٌ وأســـئلةٌ

فيهـــا الجـــواب لمـــن بـــالبوح قـــد نزفـــا

قلـــبٌ ينـــاجي طيوفـــا غـــابَ شـــاهدُها

الله مـــا حســـنها إنْ واصـــفٌ وصـــفا

قلـــبٌ يُنـــاجي فـــلا همـــسٌ ولا لغـــةٌ

إلا هيـــام لغـــير الوجـــد مـــا ذرفـــا

عـــينٌ بهـــا تَوْقهـــا في ذل مســـألةٌ

تســـتعذب الفقـــرَ إنْ كـــان الرجـــا زُلفـــا

الله يـــا ليلـــها زدنـــي بهـــا شـــغفا

وأَتـــرع الكـــأسَ إنّ السُّـــكرَ قـــدْ أزِفـــا

زِدْنــي بهــا نَشْــوةً أحيــا بهــا مَلَكــا

يُنــزّهُ الأُفْــقَ عــن إدراكِ مــا عرَفــا

زدنــي وخــلّ التجلّــي ملــح ســكرتها

إذ لا أزال بربـــع العشـــق معتكِفـــا

زدنــي هيامــا أُرى مــن حــرّ سَــكرته

درويــشَ عشــقٍ رأى في كفّــه شُــرفا

في غيبــة الصّــحوِ مجــذوبٌ بهــا وجــلٌ

ولــيسَ يقصــدُها إن باسمهــا هتفــا

بــالله زِدنــي أزلْ أســتارَ جلوتهــا

خــلِّ التحلّــي بهــا يحــوى هــوىً دَنِفــا

خــلّ التّجلــي وحَــلّ العُمــرَ مغفــرةً

وارفــقْ بقلــبٍ ثَــوى مِــنْ بعــد مــا ارتجفــا

ففــي تــدلّي الــرُّؤى مــا الله يعلمــه

إن قيــلَ (حَــلّ) رأيــتَ الحــالَ مرتجفــا

وفي تجلّـــي الهـــوَى شـــوقٌ وأســـئلةٌ

فمَـــنْ يحيـــلُ لهـــا بُـــردَ الهـــوى صُـــحُفا

في خلـوة العشـق خـرّ السّـتر في لهـف

وكلمـــــا رقّ زادت خلـــــوتي شـــــغفا

وقـــــائمٌ قاعـــــدٌ في مـــــوج أســـــئلة

فمن يُجير الجوى مِـن خـوف مـا اقترفـا؟

الشراع

شـابَ الشـراع وجـفّ نـبض يراعـي
فـإلام أرقـبُ في السـنين وداعـي؟
وإلام يرتقـــبُ الصـــباح نبـــوءة
مـا مـسّ جوهرهـا شـفيفُ شـعاع؟
ذَبُـل الفتـى والـمـــوجُ أتعبـه النّـوى
فمتـى تجـفُّ الآه مـن أضـلاعي؟
وإلام تفـــترشُ الـمـــآقي أدمـــعٌ
ذَبُـل الحـنين بهـا لبسـمة داعـي؟
خمسـون قـارب لهفـة أسـعى لهـا
والـمـوجُ والشـطآنُ محـضُ خِـداعِ
والـمـاء غـاض فـأين ثـمّ قـواربٌ
كانـت تجـوبُ البحـر في أوجـاعي؟
يـا مـاءُ هـل مِـنْ صـبوة ترنـو لهـا
أم أنّ حُلمـك أن تفُـضّ رقـاعي؟

يـا مـاءُ هـب لـي مـن صـبابة أدمعـي
شـوقا يُـذيقُ النـاي صـوتَ الراعـي
يـا مـاءُ مـا ابتلـتْ ثنايـا لهفـتي
فمتـى تريـق العمـر في أصـقاعي؟
أنسـابُ في حضـن الطبيعـة برعمـا
وأفيءُ للمثـوى بغـير ذراعِ
أرجـو البقـاء ولا بقـاء لقـارب
أدمـت جوانبـه شـجونُ القـاعِ
يـا مـاءُ هـب لـي شـرعةً أسـعى بهـا
ودع الشـراع يجـوبُ كـل بقـاعي
فـالبحر في عـيني حديقـةُ عاشـق
والسـابحون فراشـها المـتداعي
وأنـا أحـاور في العيـون جفونهـا
وبقـاربي ظمـأ لنصـف شـراع
فمتـى وأيـن يئـوب عشـق نـازف؟
وبـأي ضـوء يسـتهلّ شـعاعي؟

دفء الحنين

جـفّ الحـنين وأنَّ الضـرس والنـابُ

فمـا لأوجاعنـا بالقلـب تنسـابُ؟

ذُبنـا فمـن وجـع يـأوي إلى وجـع

كـأن أجفاننـا للحـزن جلبـابُ

في الفلـك جئنـا ونـبضُ الـمـوج ثالثُنـا

يطوى الـمـدى ويواسي كلّ من غابوا

وبـين أضـلاعنا شـوق نهدهـده

أنّـى مضـى نبضُـه نادتـه أعصـابُ

لا ضـوءَ نبصـرُ ذاب اللـون في دمنـا

فكـل أحمـرَ في الأحـداق عُنّـابُ

لا صـوت نسـمعُ ذابـت كـل نائحـة

وأدمـعَ القلـبَ مَـنْ قـد قيـل أوَّابُ

يا بنت أمـي ارقـبي في الـمـوج أسـئلتي

ورددي حجـتي في وجـه مـن آبـوا

قُصّـي وقـولي لأمـي طـاب مسـكنُه

ومثّلـي بسـمة تُـروى وتُغتـابُ

لأنَّ أمـي بكـتْ مِـن نيلـها وَجَعـا

وكـان في حلمهـا تـينٌ وأعنـابُ

وكـان في حلمهـا أضـغاثُ أسـئلةٍ

أعيت فنون الرؤي وامتصـها الصّـابُ

وكـان في حلمهـا عـرشٌ ومملكـةٌ

ترنـو لحرّاسـها في العـينِ أهـدابُ

فجفَّ ضَرع الـرُّؤى في بحـرِ مَـن غَرِقـوا

وذابَ جفنُ الـمـدى في عين مَنْ ذابوا

واحتـدّ خصـمان ذابَ القلـبُ بينهمـا

فمـنْ يبـثُّ الهـدى والنَّـبضُ كـذّاب

جَـفّ الحـنين وضـلَّ الفجـر شـاهدَه

وغـابَ مـن أخبتـوا للمـوج فانسـابوا

*****

أصول العشق

آتٍ إليـــك بحلـــم ضـــوءه عـــاتي

يـــا جنـــة الخلـــد يـــا أرض الحضـــاراتِ

آتٍ لعينيـــك حيـــث الشـــعر يبعـــثني

مرســـى أمـــان لأمـــواج المجـــازاتِ

آتٍ علـــى هـــدب آمـــال أهدهـــدها

في راحتيـــك بمعســـول الحكايـــاتِ

في مـــتن فُلـــك إذا مـــاج العـــلاء بـــه

أغفـــى بمـــوج حـــنين للمناجـــاة

آتٍ وجينـــات أشـــعاري تـــؤمّرني

في بقعـــة الضـــوء ممشـــوق العبـــاراتِ

وكلّمـــا راوغـــوا الشـــطآن جئـــتُ أبـــا

عشـــقت فيـــه حـــنين الأرض في ذاتـــي

وكلّمـــــا ردّدوا للمجـــــد قافيـــــة

كنـــتِ الحمـــام بـــأبراج الســـماواتِ

وكنــتِ مهــدَ وليــدٍ ســارَ سِــيرته

ينقّــل الخطــو في نــبض الطموحــاتِ

أيّــان أســبح وجــهُ الضــوء محبرتــي

ونيلــك الحــبرُ في جــذع النباتــاتِ

وحبّــة القمــح وجــهٌ فيّ أحملــه

وبســمةٌ ضــوؤها مــن لــون جينــاتي

آتٍ ولــيس بقلــبي غــيرُ حكمتــه

أن التحلّــي بحــبّ النــاس منجــاتي

وأن عمــرى الــذي شــيّعت أكثــره

كــان افتــداء عيــون تعشــق الآتــي

فــذوّبي نــبض قلــبي فيــك وارتقــبي

يــوم اللقــاء لأبقــى في الحشاشــات

وإن رأيــت حبيبــا فيــك نــازعني

فلقّنيــه أصــول العشــق مــولاتي

*****

هيت لك

يا من زرعتَ الياسمين
بصفحة النجوى
وهدهدت الفؤاد
وما ملكْ.
وفرشتَ في عيني
فصول محبة
كانت تغازل في العيون الخضر
وحْيا حنّ لكْ.
عيناك ذوبتا بعينيّ المدى
قل لي بربك
مَن بحبات الصبابة أرسلكْ.
مَن فضّ عطر الياسمين
على يديكَ
وبث في الفرشاة ما استخفى
لترسم جدولكْ .
مَن علّم الطفل
الذي خبّأت فيك

براءة الشكوى
إذا مرّت بحرف أخجلكْ .
ماذا عليك إذا أمرتَ
فكنت أمركَ
واستجاب النهي فيّ
لكل طيف مثّلكْ؟.
ماذا عليّ إذا مضيتَ
وبي حنينٌ
لليالي الحائرات الخطوِ
حين تفرّ مني
حين تبصرُ منزلكْ؟ .
أنا من عشقتك
واستجبتُ لسحر عينك
كنت أول من أطاع ومن سلكْ .
وأنا التي
نقشت بألوان الفراش
غرام إخلاص
بأغصان العذوبة دلّلكْ.

وركبتُ فُلكك
واستراح الموجُ
وابتلّت بعيني الرؤى
حتى أشاهد موئلكْ .
يا أنتَ كنْ لي
لستُ أول من أحبّ
ومن غوى
ومن استراح على جفونك
بعدما ما قد خوّلكْ.
يا أنتَ كن لي
قد ركبتُ الموج في عين رأتك
لكي أراك
تدير بالأعصاب نبضا فضّلكْ .
فارفق بقلب ودع الدنيا
وما ملك الورى
وتبتّلت كلماته الحيرى
تنادي (هيت لكْ) .

*****

نبض الأرق

على الماء حيثُ يخرّ السكونُ
أراني أعودُ فتى من ورقْ
أجدّف حتى مغيب الشراع
وأسبح حتى مغيب الشفقْ
أرجّى نهارا غفا في الجفون
وأسكن في العين ذوب القلقْ
معي ساعدان عروضٌ وضربٌ
وفي شرفتي نسمةٌ من رمقْ
وخلفي جُنود يودون قتلي
ويفترشون بعيني الودقْ
يديرون حولي مَدى من سياطٍ
وينتشرون رؤى مِن حَدقْ
وما زال فرعون خلف القميص
يدثر بالجب طيب العرقْ

وينشـــر مـــا شـــاء مـــن أمنيـــات

ويجلـــدُ في حلمـــه مَـــنْ أبـــقْ

ومـــا زلـــت أســـعى ونبضـــي يقـــينٌ

يبـــــدِّد في الليـــــل ذلّ الغســـــقْ

علـــى الـمـــاء أرقـــبُ دمـــع الثكـــالى

وأكتـــب بالـمـــوج نـــبض الأرقْ

وأدفـــع بالـمـــوج ريـــحَ الخـــلاف

وســـبعا أكلـــن النـــوى والـــورقْ

وجاهـــدن كـــل الفصـــول اللـــواتي

تعهـــدن في الجـــب كـــل الرهـــقْ

وأعلـــــم أنّ التـــــولّي خنـــــوعٌ

وأنّ التوسّـــــل نـــــزفُ الحُـــــرقْ

وأنّ الـــــيقين بقلـــــب الطمـــــوح

مشـــاعلُ تبعـــث ضـــوء الفلـــقْ

أبرهة

لا تــؤذ رهطــك فــالطريقُ ممهّــدهْ
والفيـلُ فيلُـك بـتُّ أعـرفُ مقصـدهْ
والطــير بالســجيل تســبحُ لا تــرى
وَيْــلاً يليــق بمَــنْ حمــاك لتُوجــدهْ
لا تــؤذ رهطــك إن ســرَّك بيننــا
ويــداك تُوعــدنا فُصــولا مجهــدهْ
طـال انتظـارُ السـبت مـا كـذبَ الـذي
بــثَّ التشــاؤم في هــواك وأيّــدهْ
فبــأي آلام أنــامُ مُرفَّهــا
ويـدي بـذلّ الـمـخزيات مُصـفّدهْ؟
لا تــؤذِ رهطــكَ هــذه أعرافُنــا
فاضـرب بهـا بحـرَ الظنـون لتُوصـدهْ
ســيفي ســأحملهُ لأرقــبَ ظلَّــهُ
وأظــلَّ رهــنَ إشــارة كــي أغمــدهْ

فلقـــد وأدتَ الطـــير في أوكارهـــا

وقطعــت غصــن العاديــات لتوقــدهْ

فبـــأي شِـــعر أصـــطفيك وأنحـــني

وبـــأي قربـــان أتيـــهُ لأنشـــدهْ

مـــا زلـــتُ أنتظـــرُ الإشـــارة مُخبتـــا

وبـــرايتي نـــزفٌ ومطمـــحُ أفئـــدهْ

لا طـــيرَ تسْـــبحُ كيـــف أبصـــرُ ماءنـــا

وقمـيصُ يوسـف مـا أبـيّنُ موعـدهْ

لا تـؤذ رهطـكَ سـوفَ تسـلكُ أرضَـنا

وطريـــقُ فيلـــكَ لـــن نَمَـــلَّ تعهّـــدهْ

مَـــلّ الحصـــان ولـــن أُطيـــلَ شـــكاية

فاضـربْ برجلـكَ فالحُصـونُ مقيّـدهْ

نَضُـبَ الـمـــعينُ ومـا ليوسـفَ إخـوةٌ

لكـــنَّ جُـــبّ الـمـــخزياتِ تَصَـيّده

*****

لا عاصم اليوم

قـبْسٌ مـن النـور أم مـسٌّ مـن المـاءِ

لا عاصمَ اليومَ من عينيك أسمـائي

لا أرض تبلـع مـاءً قـد غرقـتُ بـه

غـاضَ الحـنينُ ولم يبتـل إيـمـائي

لا أرضَ تُنبـت مـن نعنـاع سـيرتها

ما أستغيثُ بـه مـن لهـف أهـوائي

إن قلتُ (يا) رقصتْ في أعيني سُـحبٌ

وإن أطلـتُ تنـدّى فيّ إغـوائي

وبـي حـنينٌ لأرض كنـتِ نرجسـها

واليـاسمين إذا أقعـى لورقـاءِ

عشرون عاما مضت والقلـب مرتقـبٌ

عشرين ألـف رجـاء تحـتَ أعبـائي

وبـي بكـل نسـيم منـكِ تـذكرةٌ

ولـي بكـل نشـيج بعـضُ إصـغاءِ

إن قلت (ذبتُ) أحلتُ الليل أغنية

موّالها طربٌ من فرط إيحائي

أو قلت (تُقتُ) تمادت فيّ أحرفها

واستعبرت حاؤها تَسعى لها بائي

يا ليل كُن لي سفيرا عند ملهمتي

وداوني بالتي في عينها دائي

داو الجروح بما في القلب من شغف

وأسكن الشوق في أحشاء حوائي

إني نذرت عيوني واسترحت بما

في القلب يجتاحني من عين نجلائي

ما كنت أحسبُ أن الطرف معجزة

حتى اكتويتُ به واعتلّ إطفائي

ماجتْ بشوقي أنواءٌ معذبةٌ

وجفَّ نبع الهوى في ليل إسرائي

فمــن يجــيرُ جــوى أدمنــتُ لوْعتــه؟

فكان مـوجَ الهـوى إذْ كـان أنـوائي

عشرون مـرّت ومـاء الشـوق أجرعـه

فـلا يُسـيغُ الهـوى تـوقي إلى المـاءِ

عشرون كنتُ أجوب الأرض موجـدة

أفتشُ الضوء عـن مَثـوى لجـوزائي

عشــرون مــرّت وظــلّ القلــبُ ملتهبــا

فمن يجيرُ الهوى مـن عـين أبنـائي؟

أثير الشوق

إن نمتِ عني فخلّـي الشـوق مطروحـا
كي تأمري القلب إمّا شـئت والروحـا
يـا رقـة الـورد شـوق الـورد عـذبني
فبـتّ مـن شـوكه بـالقرب مجروحـا
إن قلتِ (صبرا) توارى هاتف رقصت
فيـه الرسـائل لمـا قلـتِ مفتوحـا
أو قلتِ (عذرا)سرت في القلب رعشـته
فسـال دمـع الجـوى بالعـذر مسـفوحا
فـلا تقـولي وخلّـي العـين تبسـم لـي
ففي ابتسـامتها الـوحي الـذي يـوحى
إن نمـت عـني فمـن بالليـل يؤنسـني
وصوتك العـذب أمسـى فيّ مشـروحا
يا ليـل كـن لـي شـفيعا عنـد مؤنسـتي
وخلّ صوت الجوى في القلب توشيحا

فلي حبيب أراق الشوق في جسدي

وأرهق الفكر في الأسحار تسبيحا

ولِي غرام بجنح الليل أرقبه

وأُتبع النفس في عقباه تلويحا

متى وكيف وأيّان اللقاء به؟

يا ويلها حيرة إن قلتُ تبريحا

إن قلتُ (أين) فما عيني بصابرة

أو قلتُ (كيف) رأيت اللبّ مقروحا

فما السبيل وقد ألهبتِ لي خلَدي؟

كأنني جسد قد فارق الروحا

فلا تقولي أثير الشوق عذبني

وأعقب العين بعد القلب تجريحا

فقد غفرتُ له ما كان أرّقني

فخلّي عنك أثيرا نبضه : بوحا

*****

ماء الصبابة

خــذي مــاء الصــبابة مــن عيــوني
برئــتُ إليــك مــن كــل الشــجونِ
خـــذي عينـــا أراك بهـــا لأنـــي
كتبـــتُ بجفنهـــا ألا تخـــوني
وكنـــتُ أراك نبضـــا في وريـــدي
ورجفــة أحــرف تعلــو ســكوني
وكنـــتُ أراك في أحشـــاء روحـــي
فمَــن أجــراك في دمــع العيــونِ؟
خــذي مــا الصــبابة واســتعيدي
خيــالا كنــتِ فيــه شــذى الــيقين
ولــيلات علــى جســر الأمــاني
عرفــت بليلــها طعــم الحــنينِ
وأنــت غــديرُ أشــواق عــذارى
تحــنُّ لــه إذا مالــت غصــوني

فمـــن أجـــرى بعينيـــك اشـــتياقي؟

وهدهـــد طـــرف عينـــك في وتـــيني

خـــذي مـــاء الصـــبابة لســـتُ بـــاكٍ

علـــى عيـــنين أشـــعلتا جنـــوني

برئـــتُ إليـــك مـــن ولـــه الصـــبايا

إذا مـــا ســـال مـــن هُـــدْب الســـنينِ

برئـــتُ إليـــك مـــن طيـــف وليـــل

إذا هتـــف الحـــنين بـــه: خـــذوني

ففـــي عينيـــك ذوّبـــت الليـــالي

وأســـكنتُ الهيـــام بهـــا ظنـــوني

خـذي مـا شـئت مـن وَلَـهٍ شـفيفٍ

وخـــلِّ الشّـــوقَ يســـبحُ في جفـــوني

لأبقـــى شـــاعرا ولِـــهاً وعفّـــا

إذا نظـــروا لعـــينيَ يعرفـــوني

*****

أشلاء الفراق

أسرعت
في حلمي هناك لرحلة
عند انفلات الضوء
تنتظر التلاقْ .
لاماء ينبت حبة
مما رواه النيل
فانتبذت به ذات النطاقْ .
كان الصحاب يراوغون الموت
حين أطل من ثغر المدينة
جارحا ظهر البراقْ.
وأنا أسيغ سلاسل الصيحات
من حولي صدى
وتدير أمي شالها الفضي
كي تهدي الرفاقْ .
فالأرض غير الأرض
مازالت تريد الماء عذبا
سلسلا حرّ المذاقْ .

أسرعت
كان الحلم قد ولى
ولم يترك بأرضي غير ذكرى
من تراث الصمت
محمولا على ضلع افتراقْ .
كان المساء
يدور منكسر الرؤى
في راحتيه التين
والزيتون والحلم المراقْ.
وأب يعدّ الخطو كي يلقى بنيه
يذيب في الساقين صبر كهولة
تاقت لأطنان اشتياقْ .
لا ضوء للعينين
ذاب العابرون
وصوّت الغربان
يوم اغتيل أطفال العراقْ.
أسرعت

كان حمام بُرجي قد تولى
واستراح على الموائد
حشوه من فضل حبات الوثاقْ .
ناديت كل العابرين بأدمعي
وأبي وأمي يوم عيد
لونه فيما رواه النيل
بعضا من جراحات العناق.
ناديت يا أماه
غامت دمعتي
وبقيت أجمع في منامي
كل أشلاء الفراق.

*****

سلام

سـلام لمـن علمـتني صـبيا
وفي حبهـا صـرت كـل النـدامى
سـلام علـى أهلـها الطيـبين
إذا ادرك الطيبـون الطعامـا
سـلام علـى قريـة لا تشـيخ
وأمّ مـع الـيمّ ألقـت غلامـا
سـلام إذا خاطـب الجـاهلين
أضـاءوا العيـونَ وطـاروا حمامـا

...

سـلام بحجـم السـحاب الأبـيّ
يـدور علـى قـريتي الطيبـهْ
يسـيل مـع الـدمع أنـى اسـتراح
ويغفـو علـى قُبلـة ملهبـهْ
فيمطـر ذكـري علـى الـراحلين
ويُنسـي الحـنين خطـى متعبـهْ
سـلام إذا مـرّ بـابن السـبيل
علـى كـل خـدّ بـه طيّبـهْ

...

سـلام لمـن أهملونـا فـرادى
وبـاحوا لضـوء المـدى باللقـاءْ
سـلام علـيهم إذا أخبتـوا
وأغـروا بضـوء الأسـارى البكـاءْ
سـلام علـى قبلـة عفتهـا
وليـل أقاسـيه رهـن الـدعاءْ
سـلام إذا أرهـق الغـافلين
سـرى في عيـون المـدى مـا نشـاءْ

درب العيون

لأنّـــا التقينـــا فمـــن ذا قضـــى؟

بوعـــــد قصـــــاراه أن يُنقضـــــا

وبـــين يـــدينا نســـيم التلاقـــي

وشـــــوق رجونـــــاه أن ينهضـــــا

لأنـــا التقينـــا فمـــال الســـكون

وخـــرّت نجـــوم الليـــالي رضـــا

لنهفـــو إلى حـــاملات الـــتمني

ونغفـــو علـــى ســـابحات الفضـــا

ونحكـــي كـــأن الحكايـــا خطـــى

نـــردد فيهـــا الـــذي قـــد مضـــى

ونمشـــي إلى واقـــع لا يمـــوت

وحلـــم عشـــقناه لمـــا انقضـــى

نفـــتش في ردّهـــات الليـــالي

عـــن الطفـــل فينـــا إذا غمّضـــا

وحـــاور في اللـــهو ضـــوء الحيـــاة

وطـــــار فراشـــــا بـــــه أبيضـــــا

ونغفـــو علـــى خطـــرات اللقـــاء

نمنّـــــي بـــــه الحلـــــم أن يومضـــــا

كأنّـــــا كبرنـــــا فمـــــن ذا أراق

بوجـــداننا الغـــض مـــرّ الغضـــا؟

ومـــن ذا أشـــاح بوجـــه الكـــلام

إذا مـــا اللســـان بـــه فضفضـــا؟

ومـــــازال (عـــــروة) في أهلـــــه

يعيـــــذ (بعفـــــراء) أن تُقبضـــــا

ومـــا زال فينـــا غـــرام الشـــباب

وحلـــــم حميـــــناه أن يمرضـــــا

فمـــن ســـجّل الحـــب باســـم الشـــباب

وســـــوّغ للشـــــيخ أن يبغضـــــا؟

وفي العـــين منّـــا غـــرام الســـنين

وقلـــــب قصـــــاراه أن ينبضـــــا

لأنـــا التقينـــا بـــدرب العيـــون

فقـــــد آن للحـــــب أن يُفرضـــــا

حنين

أحنّ الى خبز أمي
وطعم الحكايا
إذا غلفتها هموم الشتاءْ .
ورائحة من تراب الصمود
تمرّ مع النصر
أنى استراح مع الكبرياءْ.
أحنّ
فهاتي الصباح الأبيّ
وحضّي ثرى الأرض
أن يستجيب لطيف النداءْ .
دعيني أعش
فوق ظهر المحال
خيالا بريئا
رهين اشتهاءْ .
يحنّ إلى موجة حرة
وقارب حب
بغمازتين وقربة ماءْ .

دعيني فكل الحقول صبايا
وكل الحكايا بنكهة أمي
تطيل الدعاءْ .
دعيني أحنّ إلى الشرق
أنى استراح
على خدّه من هموم الحقيقة
عطر الإخاءْ .
أحنّ إلى شارع من سكون
وضحكة طفل
مخضبة بجبين الضياءْ.
أحنّ
إلى صحبة الصالحين
ودعوة أم
يرقّ لها الصبح أنى تشاءْ.
فأمي مثل اعتراف الصبي
إذا حنّ طفلا
لشقشقة في غصون المساءْ .

ومثل خيوط من الياسمين
ترفّ سكونا
إذا داعبتها أكف السماءْ.
أحنّ فما للنجوم ثكالى
وما باله الصبح
يأبى اللقاءْ .

*****

ثائرة

تمنّـــــي أن تحاصَـــــر أمنيـــــاتي

وحضّـــي الشـــوق أن يفنـــى بـــذاتي

وثـــوري إن أســـغتِ المـــاء عـــذبا

وســـار بمهجـــتي مـــاء الحيـــاة

ولا ترضـــي بربـــك مـــن ســـكوني

ســـوى أســـفا لقـــول العـــازلات

ســـئمتك يـــوم غلّقـــت الحكايـــا

وأدفـــأت النجـــوم بملصـــقاتي

وأطلقـــت الوعـــود بخـــور ليـــل

أطـــال بجفـــن حرقتهـــا ســـباتي

وهـــدّمت المرافـــئ لا تبـــالي

علـــى أي الشّـــجون بنـــا تـــواتي

ســـئمتك غـــيرة حمقـــى وعينـــا

رأت كـــل العـــوازل فاتنـــات

سـئمتك غـيرة ثـارت وأهـدت

لصـبري أذرعـا مـن ترّهـات

وكنـت تـراث أيـام خـوال

تـروم النيـل في نهـر الفـرات

فمَـن أغـراك بـالوجع المـوارى

بحبـات التمـرّد والشّـتات

وغلّـق في مشـاعرك احتراقـي

وعلّـق في ضـفائرك التفـاتي

ومَـن أغـراك بلقـيس البـوادي

بعـزّة حـين نـادت قـيسَ ذاتـي

وكنـت أثـير ليلاتـي العـذارى

وأطيـافَ التبتّـل في سُـباتي

وكنـت صـباح مـا تاقـت عيـوني

و(فينـيس) الليـالي الحالكـات

أغرّتـــك العيـــون فقلـــت صـــبّا

تـــــدرّع بـــــالجفون الســـــاكنات

وكنـــت بطرفهـــا أســـكنت حـــرفي

وأذهلـــــت النجـــــوم الســـــاهرات

فكيـــــف يهدهـــــد الآلام قلـــــب

تعهـــــد زاده عصـــــف العـــــواتي؟

وكيـــف نحـــرت أشـــواقا عـــذارى

ببضـــعة أحـــرف وأنـــين (شـــات)؟

فـــإن أغـــراك شـــرخ في جـــداري

وصـــــمت لا يـــــرقّ لنازعـــــات

فثـــوري حيثمـــا ثـــارت ظنـــوني

فلـــن تجـــدي بقلـــبي مـــن فتـــاة

أطياف حيارى

لا تسل عمن أراق الدمع في عينيك واستل الهوى
وتمادى في دلال أهوج الخطْوات أغراه النوى
ليس للأشواق في عينيه ما يُبقى بقلب فيه طيفا
فاسل عمن حرق الأنفاس طوعا ما أطال البوح خوفا
إن في عينيه شوقا للحكايا والخيالات السكارى
ودموع من سراب وشجون من هيام لا يبارى
أين من عينيه أشواق لليل كان تاريخ الحياهْ
أين أطياف حيارى ألهبت في الشوق شوقا لا أراهْ
أ ين ماض عشت أحيي طيفه من بين طيات السكونْ
وحبيب كان نجوى علقتني في خيالات الجفونْ
أين .. ذابت كل ذكرى واستبد الشوق بالحب التليدْ
وتوارت في خيالي أمنيات لا تبالي بالجديدْ
هل سأسلو كل ماض أم سأبقى بين شوق ورجاءْ
إنني ماض لأحيا لا أبالي.. إن مضى الشوق وجاءْ

يـا ليـالي الـتي عبـأت فيهـا كـل مـاض كـالغريقْ
سـائلي الأزهـار عـني واذكـريني بـين شـوق ورحيـقْ
أنا مـا خنـت ولا أغـرت عيـوني أينمـا شـاءت عيـونْ
واسـألي دفء الليـالي واشـتياقي لاقتراحـات الجنـونْ
إنـني مـاض لمرسـى مـن خـداع كلمـا ذبـت ابتعـدْ
قاربي من حـر وجـدي واشـتياقي مـن حـنين لا يعـدْ
إنـني مـاض ومـالي غـير عينيـك مـلاذ ومـآبْ
فـارفقي بالقلـب مـني واسـكبيني مـن عـذاب لعـذابْ

راحل والموج

علـــى مهَـــل ومـــن مهَـــل أعـــاني
فمـــن ذا بالمآســـي قـــد رمـــاني؟
ومـــن ذا أرّخ التـــبريح بـــاسمي
وأعلـــنني مـــلاذا للأمـــاني؟
وأغـــرق شـــاطئي بعمـــيم شـــوق
إذا بـــاح الضـــمير لـــه دعـــاني
أســـافر في خيـــوط الشـــوق نجمـــا
أضـــرّ بضـــوئه زهـــو البيـــان
أســـافر حيـــث لا مـــأوى لحـــرفي
ســـوى مـــرّ التجاهـــل في لســـاني
لأنـــي راحـــلٌ يشـــتاق أُمّـــا
ليعـــبر في تجـــاويف الزمـــان
ويغفـــو بـــين أعينهـــا قريـــرا
بـــريء الخطـــو ريفـــي المعـــاني

مُســـــجّى باشـــــتهاءات المعـــــالي
ومُلقـــــى في أراجـــــيح التهـــــاني
سمـــائي لا تـــرقّ علـــى طمـــوحي
وأرضـــى أنكـــرت مـــاء الأمـــاني
علـــى مهـــل ولـــيلات أيـــامَى
تحـــدّق بـــي وترقـــب عنفـــواني
لأنـــي راحـــلٌ فلـــم الـــتّمني؟
وأيّـــان الطريـــق ومـــن يرانـــي ؟
وحـــين يهـــلّ مـــن غســـق ربيعـــي
يلملـــم مـــا تبقـــى مـــن جنـــاني
تـــــوارى شـــــاعرٌ وذوى أديـــــبٌ
وأخجلـــت الزهـــور جـــريح شـــاني
لأنـــي راحـــلٌ والـــزاد شـــوقي
لتـــــاريخ التبتّـــــل في كيـــــاني

بين السجن والـمـنفى

صـبيٌّ يجمـع النظـرات والعـبرات مـن تاريخـه ضـعفا
ويُبدي أوجه الشـهداء والبؤسـاء إن مـدَّ الـمـدى كفّـا
ويذكر حين مات أبـوه محمـولا علـى بوابـة الـمـشفى
وحين مضى رهين القصف تحت البيت يرجُفُ قلبه رجفا
صـبيٌ أنّ في الـمـأوى وذاق النفـي في طرقاتـه عنفـا
وبين السجن والـمـشفى مع الـمـنفى تقطع قلبه خوفا
وذاب الطفل في يده وشاخ اللهو في الأعصـاب والتفـا
غفـا وأفـاق إكلـيلا بلـون النـزف مـاءُ نمائـه جفـا
وخرّ مناديا : أمي بحق أبـي متـى أعـدو إلى الـمـنفى؟
متى تستأنفُ الثارات؟ عاث الظلمُ بالأوطان واسـتعفى
قضيتُ العمر ترحالا فمات أبي ومات الطفـل في عنفـا
وعِفتُ طفولة الماضي وأحلامي وأُرضعتُ الردى قصفا

صبي يسأل الطرقات أين أنـا؟ وإن سـدَّ الـمــدى أنفـا

وبين السجن والـمــنفى وحلـم مـات في تاريخـه حتفـا

غفا وأفاق : خلوني أعش، يا أيها الـمـنفى كفى زحفا؟

أعد لي أيها التاريخ عند النـوم شـكل طفـولتي وصـفا

أعد لي قـبلتي لغـتي وإن سـالت حـروف تـولّهي نزفـا

فلي وطن نشرت عليه أعبائي وغلّقـتُ الـمــدى كهفـا

ولي حلم بحجم الأرض لن أرضى بغير حروفه حرفـا

إلى المقصلة

تمـــــرّ الســـــنين ولا مســـــألهْ

وتـــأتي الظنـــون بـــلا أمثلـــهْ

وســـبعون عامـــا تنـــيم العقـــول

لكـــي تســـتبيح خُطـــى مثقلـــهْ

وســـبعون نغـــرس فيهـــا الإخـــاءَ

فيُخـــرج نبـــعُ المـــدى حنظلـــهْ

وســـبعون نرقـــب ريـــحَ القمـــيص

ونســـتر مَـــن في الـــدّجى بدّلـــهْ

ونســـــأل أعمارنـــــا تـــــائهين

عـــن المجـــد مَـــن بـــالهوى سلســـله

وكنّـــا نخبـــئُ فينـــا الحـــروفَ

وتهـــربُ في دمعنـــا الأســـئلهْ

وكنـــــا نفـــــرّ إلى المخزيـــــات

لكـــــيلا نفـــــر إلى المقصـــــلهْ

وكنـــا نحـــبّ عشـــاءَ الســـجون

لأنـــا غرســـنا بـــه سُـــنبلهْ

وكنـــا ... ولكـــن تـــوارى الزمـــانُ

فـــذابت بأطيافنـــا الأخيلـــهْ

ومتنـــا ســـكوتا لأن الكـــلام

يســـمّمُ آخـــرُه أوّلـــهْ

ففـــي الشـــرق نرقـــبُ مجـــدا مُراقـــا

يرجّـــي المـــدائن أن تكفُلـــهْ

وفي الليـــل نســـألُ كيـــف الفـــرات

يخـــطّ لـــه النـــدبُ مســـتقبلهْ

وكيـــــف يُـــــراق دم الوالـــــدات

وفي الجيـــد طـــوق رؤى مثقلـــهْ؟

وكيـــف يســـود احـــترام البغـــاة

ومـــا عـــضّ حكامنـــا أنملـــهْ؟

تمـــرّ الســـنين ومـــن للحـــنين

إذا دمـــعُ عـــين بهـــا أرســـلهْ؟

طال ليلك

الـــــديك أذن بالقيـــــام فنـــــامي

قـد طـال ليلـك حارسـا أحلامـي

قـد طـال ليلـك تـرقبين حـديقتي

وتمارســـين القـــصَّ في أيـــامي

والنـــوم في عينيـــك يعبـــث هازئـــا

بالهـــدب وســـط تـــزاحم الآلام

قـد طـال ليلـك تـوقظين ضـفائرا

مـا مـس شُـقرتها عمـيمُ ظـلام

رُدي إليك (الشيش) واسترخي بهـا

وضعي الوداعة تحت خـدّ غرامـي

وضعي خطـابي حيـث قلـبي قـاطن

بـــين الحشـــا وتـــدفئي بعظـــامي

سيفتشـون البيـت عـن شـبحي بـه

وسيكســـرون أمـــامكم أقلامـــي

وينقّبــون الليــل عــن نجــم ســرى

فأضــاء في اللــيلات بعــض غمــام

وسيسألون المـوج كيـف انشـق لـي

وأنـــا بمـــرأى مـــنهم ومقـــام

وســيوقظونك كــي تــروّع طفلــتي

ويراقبــون الخطــوَ في أحلامــي

وســيجرحون القــص إن لاذت بــه

كــل الــرّؤى وســيحرقون كلامــي

ويهـــددونك بالحكايـــات الـــتي

ألّفتُهـا بالليـل قبـل تـواتر الأقـدام

وأنـا ببيـت الجـار أرقـب خطـوَهم

يتنـــاوبون قســـاوة الأحكـــام

رُدي إليك (الشيش) واستهدي بهـم

وإذا أمنــتِ مــع الصــباح فنــامي

ودعي شجون الحرف تفضح لهفتي

وترقبي في الهالكين مقامي

هذي بلاد لا تسيغ حكايتي

إلا إذا امتزجت بلون سقامي

فإذا رأيت من استباح سريرتي

وتتبّع الإخلاص في أيامي

فلتقرئي في وجهه كراستي

ولتبلغيه إن استطعت سلامي

لا تلمني

لا تلمــني إن تــوارى الشّــوق عــني

إن في عـــينيّ للشّـــوق غـــرفْ

إن في عـــينيّ مـــن أرســـى الأمـــاني

وأذاب القلـــب في مـــوج الشـــغفْ

أنـــا إن نـمـــتُ ففـــي القلـــب ضـــياءٌ

وحـــنينُ في ضـــلوعي قـــد وَجَـــفْ

فـــاترك الأحـــلام نشـــوى بغرامـــي

وارو عـــني كلمـــا الشـــوق هتـــفْ

واســـقني مـــا كـــان في الـــدنيا مباحـــا

واسكب النجوى على ضوء الصّـدفْ

كـــل مـــا أهـــواه طيـــف هـــائم

ولســـــان كلمـــــا ذاق اعـــــترفْ

ذاب فيـــك الليـــل يـــا كـــل الليـــالي

فارتقـب إن هـاج شـوق أو عصـفْ

أنـــا مشّـــطت بعينـــك الليـــالي

ونثـــرت الشـــوق في كـــل الشُّـــرفْ

وفرشـــت الأرض مـــن ورد الأمـــاني

وأضـأت القلـب مـن جـوف اللـهفْ

فـاطوِ عـني مـا طـواه القلـب مـني

واسـكب التحنـان في قلـب نـزفْ

بـــي حـــنين لا تواريـــه الليـــالي

والتيـــاع مـــن تجافيـــك ارتجـــفْ

وطيـــوف هيّجـــت مـــا قـــد مضـــى

وأعـــادت فيّ مـــا قيـــل انصـــرفْ

لا تلمـــني مـــا علـــى العشـــاق ذنـــب

مسّـنا الشـوق ومـا أغنـى النّصَـفْ

لا تلمـــني حـــيلتي أنـــي مشـــوق

ولعينيـــك غـــرام مـــا لطـــفْ

*****

طرفك الباكي

هل كان شوقك يحكي أم أنا الحاكي؟

لا عاصم اليوم من عينيْ مُحياكِ

ما عاد يجدي الهوى مسٌّ وشعوذة

إذ كنتُ ماء الرقى في جفن نجواكِ

فلا تقولي غرام قضّ مضجعنا

وفي عيون الهوى والشوق أجراكِ

فقد عشقت الجوى إذ كنت مصدره

يا من بسحر الهوى أدمنت رؤياكِ

ما عشت إلا نهارا فيك طلعته

فكيف بين نجوم الليل أنساكِ؟

كوني نسيما أجال الصفو في رئتي

وأثمل القلب في تفسير معناكِ

كوني فؤادا ثوى في طرف موجدتي

أكن عبيرا غوى في فيض يمناكِ

كـــوني ارتعاشـــة روح أنـــت لهفتهـــا

وســرّ دفء الأنــا في حضــن إدراكــي

يــا أنــت كــوني ولا ترضــي بموعظــة

فخـــير موعظـــة للقلـــب عينـــاكِ

قــدمتُ قربــان حــب مــا فرشــت لــه

إلا شــغاف الهــوى إذ قــال : بشــراكِ

وجبــتُ أطلــس مــا تبــدين مــن ولــهٍ

فكنــت عــين المــدى في ليــل مســراكِ

والآن أغفــو وعــين الحــب تكلــؤني

والشوق يمحو الجوى من طرف مضناكِ

فخلــي قلبــك يحكــي ذوب لوعتــه

بمـــا حبـــاك النّـــدى أيّـــان ألقـــاكِ

ولا تبثّـــــي الجـــــوى إلا مخاتلـــــة

فمــن يطيــق الجــوى في طــرف نجــواكِ؟

*****

لا تسأليني

لا تسـأليني عـن قلـوب أسـكنتني حيـث تغـدو الـروح حبّـا

فأنـا اسـتراح المـوج فيّ لشـاطئيكِ ونمـتُ في الجفـنين صـبّا

وأنـا اطمـأن النـبض فيّ لسـاعديكِ فكلمـا ناديـت لبّـى

أنـا يـا غرامـي نفحـةٌ مـن فـوح عطـرٍ ذاب في خـديك قربـا

أنـا مـوج أطيـاف رأتـكِ كمـا تشـاء فسلسـلت في اللُّـب لُبّـا

ماذنـبُ قلـب قـد رآكِ فكنـتِ للأوجـاع والأحـلام طبّـا؟

مـا ذنـبُ لـيلات رأتـك فأثملـت كـل النجـوم إليـك جـذبا

لا تسألينِي كيف كنـت أرى العيـون فقـد رأيـت الكـون جُبّـا

لا تسـأليني كيـف كنـت أرى سـواك فلـن أجيـب بغير(تبّـا)

أنـا مـا طلبـتُ قلـوبهن ولا استسـغتُ المـاء إلا منـك عـذبا

لا تسـأليني كيـف أدمنـتُ السـكون لكـي أراك شـذى ودربـا

لا تسـألي الجـوال كـم رقصـتْ يـداه إذا أتـاه البـثُّ خبّـا

أدمنتُ صوتكِ كلما يأتي حييا باسطا في القلب قلبا

أدمنتُ صوتكِ واستقل الموج في عينيّ قلبا ذاب ذوبا

وحفرتُ رسمكِ في الطيوف السابحات بأعصري شرقا وغربا

أدمنتُ كل الكل في عين رأتك فأترعيني منك قربا

يا .. كلما سالت بقلبي دمعة كنت المُعالج والأطبّا

كوني كما ألقاك واسترخي لداعي الشوق إن ناداك غِبّا

وإن استرحت على جبين الموج فيك وبت بالعينين صبّا

زيدي غرامك كيف شئت وهدهدي قلبي المتيم فيك حبّا

لا تعترف

لا تعــترف أنــي أقمــت ببــاب قلــ
ـبك حين كان القلب للفتيات شـورى
فأنــا الــتي زرعــتْ بقلبــك لهفــة
وتعهـدت فيـك الخيـال وكـان بـورا
أنا مَن غرست النـبض في قلـب الوريـ
ـد وأنت تعلم ما رويت النبض زورا
أنـا مَـن هـززتُ النخـل فيـك وفي خيـا
لــك كنــت في العيــنين حــورا
مَــن علــم التســبيل عينــك غــير عيــ
ـنيّ التي أحيت من الشـوق العـبيرا؟
مَــن بــثّ في يــدك التوســل واســترا
ح على جبينك كلما أغفـى دهـورا؟
لا تعــترفْ وانــس التفــاخر بالليــا
لي الحانيات إذا صدقتَ ودع غـرورا

أنا من سـرقتُ النـوم مـن عينيـك علّـ

ـقت النجوم بليلـك الحـاني شـهورا

وزرعـــتُ وردا في كتابـــك كلمـــا

قلّبتَ فيه شممتَ من خـدي العـبيرا

فبــأي فخــر جئــت تســعي والعيــو

ن السود فيك جعلتها للقلـب سـورا

وشـــهورك العـــذراء تشـــهد أنـــني

كنـت الحـدائق في خيالـك والغـديرا

قـد كنـتُ ليلـك حـين تحـدوك الـذوا

ئب والصباحَ إذا بدا في الوجـه نـورا

وأنــا اســتراح معــي جــواك فكلمــا

غلّقـت ليلـي في هـواك غفـا قريـرا

وأنـا اعترفـت ومـا طلبـت سـوى هـوا

ك فخلني بـك أسـتبيح هـوى أسـيرا

*****

لم تطلبي البوح

لم تطلـبي البـوح لكـن بـاح تقـديري
فلا تلـومي الهـوى إن خـان تعـبيري
مـا كنـت أعـرف مـاذا قـد يجـوز لنـا
إذ كنتِ شوقا سرى في سهم تخديري
أيّـان أنظـر وجهـك نـبض محبرتـي
وصوتك العذب في أحشـاء تحـبيري
فـلا تلـومي الهـوى إن قلـت معجـزة
ما كان يدري الهـوى مـا رقـة الحـورِ
يـا نفحـة الله مـاذا كـان يمكـنني؟
ومن أدار الجوى في القلب تقصـيري
لم تطلـبي البـوح يـا مـن كنـت نكهتـه
وكنـت سـر بقـاء النـور في النـورِ
وكنـت مـا كنتـه أغصـان ملكـتي
ورقـة الشـدو في صـوت العصـافيرِ

لا تغلقــي البــوح إنّ الشــوق متّقــد
وأرجحــي القلــب في وعــدِ المقــاديرِ
هُــزّي إليــك غرامــا أنــتِ نكهتــه
وحرّري مهجتى مِن مـسّ تكـديري
وزمّلــي أحرفــا أمســتْ بــلا رئــة
ودثّــري الشّــوق مــن مــاء وكــافورِ
مــا كنــتُ حيّــا قُبيــل اليــوم فــاقترحي
صــوتا يليــقُ بشــكري أو بتقــديري
أو فــاكتمي البــوح في عينيــك سـيدتى
حتى أبوح وخلي الشـوق دسـتوري
ودثّـــري مهجـــة أيّـــان أســـألها
ترجو اللقاء ولو في النفخ في الصـورِ

*****

سأعترف

قولــوا لهــا إن الــذي أغــراك بالــ

ـــوجع القــديم إذا رآك ســيعترفْ

قولــوا سيقســم أنــك الأنثــى الــتي

فتحــت ميــادين التبتــل في الشُّــرفْ

قولــوا رآك فلــم يــنم مــن قــال إن

العاشــق الولهــان يومــا منحــرفْ

مَــن قــال إنّ جــوى المحــب سيفتديــ

ـه إذا أضاء العين مــن ورد الصُّــدفْ

قولــوا ســيفتح مــا أراق مــن الرســا

ئــل والوصــايا بــين حبــات الشــغفْ

ســيحطم الطفــل القــديم بقلبــه

وسيطبع القـبلات سـيلا مـن أسـفْ

هي لــن تجيــب فيممــوا شــطر العيــو

ن الساهرات غـرام قلـب مـا لطـفْ

واستسـمحوا قلـق العبـارة إن تـوا

رى في الشـفاه وأنَّ قلـبٌ يرتجـفْ

قالوا شـهدنا مـا سـتراح النـبض مـا

كـذب الفـؤاد بمـا أراك ولا اقـترفْ

فارفق بما أبقيت من عصـف الجـوى

واسـتمطر الرحمـات قلبـا قـد نـزفْ

يـا أيهـا الوجـع الـذي أحببتـه

ورجوتـه ألا يمـلّ فينصـرفْ

من ذاق مثلـي صـوتها حـين اسـترا

ح على جدار القلب في جوف اللّهفْ؟

مـن ذاق مثلـي صـوتها وسـرى بـه

مـا مسـني يومـا يجـنّ إذا هتـفْ

يا صوتها المخبـوء في وجعـي القديـ

ـم سحرتني حتى بقيـت بـلا هـدفْ

سيقول من عرف الحكاية : مـا بـه ؟

وتقول نفسي ليت قلـبي مـا اعـترفْ

*****

رسائلي

زيـدي غرامـي مـن طيوفـك زيـدي

فأنـا لقلبـك قـد وهبـت وريـدي

زيـــدي فـــؤادي رقـــة أهملتهـــا

لمـــا ابتعـــدت بظرفـــك المعهـــودِ

حَلّـي مـرار العمـر منـك عذوبـة

حتـى أسـيل حـلاوة ببريـدي

حتـى أراك سـطور كـل قصـائد

خطّت لطرفـك ألـف ألـف نشـيدِ

مـاذا يقـول القلـب إن عصـفت بـه

ريـح الغـرام بـألف ألـف مريـدِ؟

مـــاذا يقـــول وقـــد رآك نعيمـــه؟

ورأيـت فيـك مـع التبتّـل عيـدي

زيـدي غرامـي مـا أعـيش بفضـله

بـين الملائـك في نعـيم خلـودِ

شــكرا لمــن ســواك قالــب رقــة

يــا حبــة الأشــواق في عنقــودي

شــكرا لقلــب بــثّ فيــك حروفــه

فاخضر في أرض الغـرام قصـيدي

يــا رقّــة الــورد الــذي ودعتــه

فنسيت فيـه مـع الغـرام صـدودي

يــا كــل معنــى للــهيام كتبتــه

فرأيــت في ذكــراه كــل وجــودي

ســيلي بأوصــالي وعــود محبــة

كـي يحفـظ العشـاق كـل عهـودي

وإذا ذكــرت بريــد أشــواق لنــا

بــين الضــلوع فشــممیه ورودي

وتــذكري أنــي حفظــت رســائلي

وظمئت في ليلي لصـوتك جـودي

حتــى أراك وفي يــديك رســائلي؟

تبــدين فيّ حروفهــا وتعيــدي

*****

موج التبتل

لا تتركـــي قلبـــا حـــواك طريحـــا

مـا عـاد يقبـل في هـواك جروحـا

مـــا عـــاد في مـــوج التبتـــل قاربـــا

أغـرت بـه عـين الحبيـب الريحـا

قـــد كـــان يـــبني في ربوعـــك حبـــه

ويقيم من سـحر العيـون صـروحا

فغـــدا يبـــثّ الآه وجـــه وســـادة

يجـري بهـا مـاء العيـون جريحـا

قـد أدمـن القصـص الجريحـة قلبـه

ويـداه أوسـعت الـدموع شـروحا

فغفـا ببحـر الشـوق ينتظـر المـدى

في شـــاطئيك ويرقـــب التلويحـــا

ويقلـب الصـفحات مـن ولـه بهـا

تحت الغصون لكي يغيـث الروحـا

لا تتركيــه يــديرُ حرفــا مــا خــلا

مــن ســحر عينــك إن رآه طريحــا

فيــداك أحنــى مــا يريــد وقلبــه

في نــبض قلبــك أدمــن التصــريحا

مُنّــي عليــه ففــي يــديك مســبّح

مــا عــاد يقبــل للــهوى تبريحــا

مُنّــي عليــه ففــي عيونــك طبّــه

يــا مــن غرســت بقلبــه التســبيحا

منّــي عليــه ففــي عيونــك مــدنف

ماكــان يومــا في هــواك شــحيحا

دفتر التاريخ

أغازلهـــــا فيســـــبقني العـــــزاءُ

وأرقبهـــا فيهـــرب مـــا أشـــاءُ

ويعـــزفني الجـــوى مـــوّال عشـــق

تشـــتّت مـــن أناملـــه اشـــتهاءُ

أغازلهـــا فـــلا تقـــوى حـــروفي

وكيـــف مـــع الكلـــوم يخـــرّ مـــاءُ؟

وكيـــف ومَـــن مضـــى في الـــيمّ ليلـــى؟

ولا مَرســـى يلـــوحُ ولا لقـــاءُ ؟

وأرقبهـــا بجـــنح الليـــل طفـــلا

تشـــتت في نـــواظره الـــمـــساءُ

غفـــا ســـحرُ الـــمـــدائن حيـــث أمســـي

ففـــذاب النـــبض وانحســـر الإبـــاءُ

يقلّـــب دفـــتر التـــاريخ ســـرّا

فتأســـرهُ البطولـــة واللـــواءُ

وتنحـــره الشـــجون بكـــل أرض

أقلّـــت مَـــن بضـــاعته اجـــتراءُ

أغازلهـــا بلـــيلات أيـــامَى

تنـــاوب صَـــلبَ عفّتهـــا اســـتياءُ

فتـــدفعني بأشـــباح الصـــبايا

ومحـــرابٍ تخطّفـــه انحنـــاءُ

وقصـــةِ عاشـــقين هنـــا أريقـــت

فجففهـــا مـــن النـــزف الحـــذاءُ

وحفنـــة أعصـــر ولّـــت ثكـــالى

وأغنـــت مـــن أضـــلَّ بمـــن أســـاءوا

فـــأغلق دفـــتر التـــاريخ قهـــرا

وأهـــرع حيـــث يصـــرعني العـــزاءُ

يســـيّر قـــاربي في الـــيم حتفـــي

وينشـــر ســـيرتي مَـــن قيـــل بـــاؤا

وأختٌ تابعت تابوت عمري

لأرض ليس يبلغها الثواءُ

أقلّب دفتري فيشلّ صوتي

دويلات تعهّدها انقضاءُ

وراو بين أحداث ثكالى

بكت من فيض حرقتها السماءُ

روى سحر الإناث فتنّ دهرا

وأغفل مَن بطانته انحناءُ

فيا لهف التي غازلتُ عفّا

إذا كذب المؤرخ والقضاءُ

ويا لهف التي أبكت ضلوعي

إذا كان العزاء هو الدواءُ

متى يجف الجرح؟

نهـــران جفّـــا والحديقـــة غافيـــهْ
فمتـى يقـول الـورد : حـان قطافيـه ؟
ومتـــى يجـفّ مـــن الجـروح نزيفُهـــا؟
وتنـــامُ عـــينٌ بالـمـــواجع داميـــهْ
ذبُلـــت يعاســـيب الطمـــوح ســـجينة
فتخنّـث الآتـي وولـول : مـا ليـهْ
سُـــرق اللقـــاحُ وسُـــرطنت أحلامنـــا
وأنـــا ابـــن أم لا تكـــذّب ماشـــيهْ
فبـــأي أفـــراح نـــزفّ عروســـنا؟
وبـأي أرض سـوف تُنجـب نائيـهْ؟
غنـى البلابـل نصـف لحـن مـا بـه
إلا شـجونُ اليـأسِ تـرقصُ حافيـهْ
وغفـا الحصـانُ علـى أريكـةِ طفلـة
كانـــت تُـــدثّر بالصّـــمود الباديـــهْ

وترجّــلَ الفرســان فاختلطــت بهــم

أشــجانُ حــرفٍ في عذوبــةِ قافيــهْ

فمتــى يجــود علــى الــمــتيّم نهــرُه؟

وجبــال (إثيوبيــا) تُلــوّح نافيــهْ

لم يبــق في أرض ثويــتُ بنبضــها

إلا العيــونُ الخضْــر تلمــزُ جافيــهْ

لم يبــق إلا مَــنْ تحطَّــمَ ســعيه

ومــن افــترى مــع مــن يُــردّد : لاغيــهْ

لم يُغــن عــنهم كــلُّ جُــرح مسّــنا

فأقــام تمثــالا وصــدّع عافيــهْ

فمتــى يجــفّ مــن الجــروح نزيفهــا؟

لنــرى عليّــا في ديــار معاويــهْ

أضغاث أحلام

مـاذا أصـبتُ وقـد أضـعت صـوابي؟

أضـــغاث أحـــلام وطيـــف ســـرابِ

وأنـــين أيـــام عرفـــت غيومهـــا

لمـــا توشّـــح دمعُهـــا بضـــبابي

وحـــنينُ أوجـــاع نســـيت حروفهـــا

لمـــا ســـجنت بمرّهـــا أعصـــابي

مـــاذا أصـــبت وخلـــف كـــل ملمّـــة

ليـل يطـول علـى سـؤالي : مـا بـي

إن كنـت مخـدوعا فمـن هـو خـادعي؟

أو كنـــت متهمـــا فـــأين عقـــابي ؟

أيـــن الـــذين بغـــوا ومـــا أخـــبرتهم

أنـــي تركـــت لهـــم دمـــوع عتـــابي

ونســـيت تاريخـــا علـــى أطلالـــه

كانـــت تعـــيش لطيفهـــا أهـــدابي

وأنـــا ألـــوّح للـــذين تـــركتهم
يحيـــون باطـــلَ شـــوقهم بعـــذابي
ويغـــيض مـــاء طالمـــا حملتـــه
فُلـــك النجـــاة وعـــزّ فيـــه شـــرابي
مَـــن علّـــم التأويـــل في أحلامنـــا
أن المجـــيء موكّـــلٌ بـــذهابِ؟
يـــا ليـــلُ مـــا أقســـاك لم تـــترك لنـــا
إلا هيـــامَ مولّـــه بســـرابِ
ورضـــابَ أحـــلام علـــى أطالهـــا
كانـــت يـــداك تخـــط حســـن مـــآبي
مـــاذا أصـــبتُ تثاقلـــتْ فيّ الخطـــى
فبـــأي وجـــهٍ أســـتقلّ صـــوابي؟
هـــل كـــان حبـــا مـــا نـــراه بلينـــا ؟
ذاب الحـــنين فـــأين ثـــمّ جـــوابي؟

*****

كان حلما

كـــــان حلمـــــا أزليـــــا
كـــــان في الليـــــل اللقـــــاءْ
كـــــان أطيافـــــا ثكـــــالى
في مســـــاءات الصـــــفاءْ
لم أزل أرتـــــــدّ فيهـــــــا
وأنـــــاجي مـــــن أشـــــاءْ
ليـــتني مـــا نمـــت لـــيلا
غـــــرّه مـــــني اشـــــتهاءْ
لم يعـــد لـــي مـــن خيـــال
غـــــير نـــــور وبريـــــقْ
وابتســـــامات عـــــذارى
مـــــن ســـــكون ورحيـــــقْ
وليـــــــالي أغنيـــــــات
خطّهـــــا بـــــدرٌ رقيـــــقْ
وأنـــــا والمـــــوج يعلـــــو
قـــــاطن نـــــبض الشـــــهيقْ

أيهـــــا الليـــــل تمنّـــــى

وابعـــد الأشـــواق عنّـــي

في دمـــي شـــوق حيـــيٌّ

نبضـــه يهـــوى التثنّـــي

عـــاش طيفـــا في خيـــال

قـــرّب الأحـــلام منّـــي

فـــإذا أدركـــت شـــوقي

فـــاروه كـــلّ التمنّـــي

إنـــني ذبـــت حنينـــا

وتنســـــمت شـــــذاكْ

فاســـقني ذوب اشـــتياقي

لتراتيـــــل ســـــناكْ

فالأحاديـــــث ســـــبتْني

بـــين شـــوق وارتبـــاكْ

وعيـــــون ســـــاحرات

كنتهـــــا حتـــــى أراكْ

أيـــن أحـــلام عـــذارى
عشـــت أرجوهـــا اللقـــاءْ
وغـــرام كنـــت أطـــوي
في ثنايـــــاه الســـــماءْ
وســـــنين أغـــــرقتني
في عيـــون مـــن ضـــياءْ
كـــل مـــا فيهـــا ســـكون
وطمـــــوح ورجـــــاءْ
أيهـــا الســـائل عنـــا
نم وأحلامـــــي تجيـــــبْ
وارتقـــب طيفـــا حييّـــا
بـــين أشـــواق تـــذوبْ
واقـــترح إن شـــئت دنيـــا
نـــبض مـــا فيهـــا نســـيبْ
واتصـــل بـــي في خيـــالي
تلقـــني عنـــد الحبيـــبْ

****

تنويمة الجياع

أطفئ سراجك نام الخلق أو قاموا
فالحلق مُرّ وعين الحق أقلامُ
لا ليل أثقل من ليل تئن به
صنو الهموم وأهلُ الجهل نوّامُ
ما للملوك رأوا في ملكهم حسبا
وهم بما استُودعوا للفخر خُدامُ
وكان باعثهم للفضل مأدبة
وكان مرشدهم للنوم أسقامُ
والجوع أشرف زاد قد تسّر به
إن كان فخر ربيب الشحّ إطعامُ
أطفئ سراجك واسكب زيت ليلته
وقل: كأنا ببيت اللؤم أيتامُ
فالجوع في حضرة الجهال مكرمة
والموت عند نفاد الصبر إكرامُ

وأنــت أنــت توالــت فيــك أعصــرهم
ونــاح باسمــك في الأقــوام أقــوامُ
وراودتــك ليــالي التيــه في وطــن
حلــمُ الطمــوح بــه سُــخفٌ وإجــرامُ
تــدير فيهــا عيونــا غــاب شــاهدها
وتــرفض البــوح في نجــواك آلامُ
نــوّم صــغارك نعــم النــوم في زمــن
ينبيــك فيــه عــن الأخــلاق هجّــامُ
جــوع العيــون يــدنّي الــنفس منزلــة
وجــوع قلبــك للتنديــد ألغــامُ
والحــرّ مَــن عينــه للــدمع حاقنــة
وعنــد فزعتــه للحــق إقــدامُ
أطفــئ ســراجك نــوّم فيــك جذوتــه
وثُــر طــويلا ففــي الأحــلام إلهــامُ
وإن رأيــت صــغاري فــامحُ شــيبهمُ
وقــل : جيــاع ثــووا والحكــمُ إعــدامُ

*****

مرثية لدم حرام

ذهـــولٌ مـــا يَلـــوحُ أم ابـــتلاءُ؟

وبغـــضٌ مـــا يســـيلُ أم افـــتراءُ

وآلامٌ ترتِّقهـــــا المـــــآسي

أم الفوضـــى تمهِّـــدُ كـــربلاءُ

توقـــفَ عنـــدها شـــهرٌ حـــرام

فســـال الـــدّمعُ وانتُهكـــت دمـــاءُ

ومـــا أغنـــى الجُنـــاةَ نشـــيجُ طفـــل

ولا أغنـــى الصـــيامُ ولا القَضـــاءُ

ذُهـــولٌ جـــلّ مَـــن شـــقّ المـــآقي

فســـال الـــدّمعُ واحتجـــبَ الإبـــاءُ

ذُهـــولٌ يـــا لنوبـــات المـــآسي

إذا صُـــبّت وَلَـــوَّح أبريـــاءُ

ذُهـــولٌ يـــا لصـــيحاتِ الثكـــالى

إذا خرجـــتْ وأخرســـها انحنـــاءُ

ذُهـــــولٌ يـــــا لأوراقِ القضـــــايا

إذا احترقـــــتْ وغـــــرّدَ أدعيـــــاءُ

وغـاض الـدفء وانبجسـت جـروح

وســـال الـــذلُّ وانتُهكـــت نِســـاءُ

وعـــاد الطفـــلُ تصـــرعه الليـــالي

وعـــينُ أخيـــه ترقُـــبُ مَـــن أســـاؤا

وعـــاد أنـــينُ مـــا نخشـــى شـــحوباً

بـــه يخبـــو الضـــميرُ ولا يُضـــاءُ

هنـــا أسْـــتلُّ مِـــن حُزنـــي خِبـــاءً

يُرتِّقـــه مـــع الـــدّمع الحيـــاءُ

هنـــا في الفلـــك أفـــترشُ اصـــطباري

لأرقـــبَ مَـــنْ أضـــلّ ومَـــنْ أســـاؤوا

هنـــا كفـــنٌ لأعـــراس الضـــحايا

ومـــوتٌ زائـــف ودمٌ يضـــاءُ

هنـــا ســـلوى ولا ســـلوى لـــدهر

وآجـــــال تَخطّفَهـــــا اجـــــتراءُ

هنـــا أُنثـــى يراودهـــا انفـــلات

فتوغـــل في محامـــدِها الســـماءُ

غصن الصبابات

لا تسألى القلب عن سهدي وويلاتـي

فالقلـب قلبـك والليـلات ليلاتـي

مذ كنـتِ في رحـم الأشـواق نرجسـةً

وجينُـك العـفّ يسـتهدي بجينـاتي

وكنـتِ بـدر الـدجى إذ كـان موعـده

يـوم التـدلّي بـأبراج السـماوات

لمـا التقينـا بـواد غـير ذي ملـل

كان الطواف بظـل البيـت مشـكاتي

وكنـت أسـعى بـلا ريـث ولا عجـل

علّـي أُجمّـع مـن عينيـك أشـتاتي

يا ذوب نفسي وعطـر الطهـر في رئـتي

وكـل طيـف بـه تحلـو مسـاءاتي

إنـي وهبـت لـك الأنفـاس في رئـتي

فهدهدي الطفل في عينيـك مـولاتي

عينـاك حلـم غريـق مـا لـه أمـل

إلا التعلّـق في غصـن الصـبابات

قـد كنـت ميْتـا قبيـل اليـوم موعـده

والآن أحيـا بنـبض يعشـق الآتـي

فلملمي الشوق مـن جـدران أوردتـي

وراقـبي النـبض في عـينيْ مسـرّاتي

يُنبيـك نـبضُ هـوى أدمنـت سـكرته

أنـي قتيـل بأنفـاس العبـاراتِ

وأنـت أنـت غـرام فيّ أعشـقه

حتى يوارى الثّرى شعري ولوحـاتي

وجعي القديم

إن كنت أنتِ فلن أقول : أنـا أنـا

ما زلت منكِ وإن تشتت جرحُنـا

وجع على وجعي القـديم ألمّ بـي

من أرشد الوجع القديم لحلمنـا؟

بالأمس طارت في الحـدائق لهفـتي

واليوم شاب الطفل وانطفأ السّـنا

يا أنـتِ مـن أغـراك؟ قلـبٌ كنتـهِ

أم أعينـا عشـقت ضـياك إذا رنـا

كوني كما تبغين ذكرى ما مضـت

أو بعـض هجـر مـا أُتـيح ليعلَنـا

أنا ما أضعتك بل أضـعتُ هـويتي

فإلام أنكر في العيـون السوسـنا؟

وإلام تنكرنـــي المســـافات الـــتي

كانـت تراقـب في خطانـا الأعينـا

إنــا التقينــا بــين نــبض قلوبنــا

فدعي يـديك تصـير يومـا ألسُـنا

إنــا التقينــا فــوق غصــن مــودة

رهـن اشـتياق لا يبـوح إذا انثنـى

فاسترجعي عبق السـنين وشـوقها

ودعي العتاب يُسيل شـوقا دمعنـا

إن كنت أنت فلـن أطيـل شـكاية

ذبـل الحـنين بهـا وأغـراه الضـنى

فالقلب غرّد حين أبصر ما مضـى

من علم القلـب التشـوق غيرنـا؟

مـن قـال ذبنـا والقلـوب نمـا بهـا

دمـع السـنين وكـل جـرح مسّـنا

يـا أيهـا المخبـوء في عمـر مضـى

مــن قــال للقــدر المخبــأ دُلّنــا؟

*****

جسر الرؤى

تـــأتّى مـــن شـــجونك مـــا تـــأتّى
كأنـــك في رُبـــى الـمـــاضى نبتّـــا
كأنـــك قـــائم ترجـــو الليـــالي
رجـاء الفلـك مِـن حـوت ابـن متّـى
نـــذرتَ العمـــر في طلـــب الأمـــاني
وأســـكنت الحـــوائجَ فيـــه شـــتّى
كأنـــك قـــاطنٌ تـــابوتَ عُمْـــر
إذا مـــاجَ الـمـــشيبُ بـــه تفتّـــى
علـــى جســـر النـــوى تمتـــدُّ طفـــلا
أقـــام مـــع الـمـــدى في التيـــه سِـــتّا
تنـــاوب شـــجوَها ســـبعٌ عجـــاف
وســـبعٌ في ضـــميرك قـــد نحتّـــا
وســـبعٌ جِـــذع نخلتهـــا تبـــارى
يهدهـــد بـــالجوى مـــا كنـــتَ شِـــدتا

شـــجونُك كلّمـــا قرّبـــت منهـــا
تصـبّب مـــا مضـــى واســـودّ كبتـــا
وصـــوتك كلمـــا قلـــتَ اذكرونـــي
تهـــدّج خائفـــا وارتـــجّ مقتـــا
وحـــينَ ظننتهـــا ســـكنتْ غرامـــا
ونـــامَ الطفـــلُ في عينيـــكَ صَـــمتا
تَســـاقطَ كـــلُّ أبكـــارِ الـمـــعاني
علـــى جســـر الـــرُّؤى حتـــى التفتّـــا
إلى دهـــــر إمارتُـــــه القـــــوافي
وأولُ حـــدّه مـــا بعـــدَ حتّـــى
هنالـــك ينتشـــى الشـــيخُ احتفـــاءً
وتفـــترش الـــرُّؤى عينيـــه نبتـــا
هنالـــك أنـــت في قصـــر الأمـــاني
وفي الـــيمّ الشـــجونُ ومـــا وجـــدتا
لأنـــك بـــرعمٌ أضـــناهُ عشـــقٌ
وهدهـــده النّـــدَى حتـــى نبتّـــا

*****

سكون الأضرحه

الصمت أشرس من ضجيج المذبحهْ

والصبر أعنف من سكون المشرحهْ

والجوع أشرف والحلوق نما بها

صاب السنين وأخرستها المصلحهْ

والواقفون على شفير خلافهم

في فلك نوح يرتدون الأوشحهْ

لا موج يعصم من توسّد حلمه

أو من أقام به ليدرك مطمحهْ

لا شيء كالطوفان يعصف بالمدى

فيلين ما استعصى ويمسح مسرحهْ

للناي مدٌّ في حنين ضميره

ولفزعة التابوت صرخة أسلحهْ

مـن هـيج الطوفـان ؟ صـمت ربيعـه؟

أم مــن أعــدّ لــه الــدموع ووشــحهْ؟

والبحــر مــا للبحــر زمجــر هائجــا؟

أتــراه ثــار علــى الــذي قــد ملّحــهْ؟

لا مــوج يعصــم وابــن نــوح مــا نجــا

إلا ليرقــب مــن بجهــل رشّــحهْ

يتهــافتون وخلــف كــل متــيّم

لهــب الســنين وبســمة مترنحــهْ

ويغــادرون كــأنهم لم يســمعوا

أسـف الضـحايا في سـكون الأضـرحهْ

وقــوارب النــاجين تلتحــف الرجــا

كــي تصــرع الآتــي فتنبــت أجنحــهْ

وأخ يلـــوّح مـــا يجيـــب صـــراخه

مـــوج عصـــي دمـــع العيـــون فقرّحـــهْ

فـــإذا تحـــرك في الوريـــد أثـــيره

أنّ اصـــطبارا والعـــزاء المســـبحهْ

وإذا نمـــا في القلـــب فضـــل إرادة

صـــاح ابـــن إعصـــار وأدرك مطمحـــهْ

طيف الشباب

مــرّ الشــباب فمــن رآه شــبابا؟

إنــي رأيــت بــه الســنين ســرابا

إنــي رأيــت الشــيب يغــزو لــمّتي

ويــثير في الأعمــاق شــوقا ذابــا

ورأيت نفسـي بعـد أحـلام الصـبا

وهمــاً يــدور وواقعــا كــذابا

يــا أيهــا الــدهر المليء قســاوة

هـل كـان شـيبا مـا أراه مصـابا؟

إني نذرت لـك السـنين وصـفوها

وحــنين أيــام تــئن عتابــا

إنــي نــذرت فمــا لطيفــك قــاتم

وكأنمــا نفــح الحيــاة ضــبابا

وجـع علـى وجـع يـداهم مقلـتي

ومئــات أحــلام تفــرّ غضــابا

وأنـا أعـدّد مـن تـراءوا غـدوة
ثـم اسـتحالوا في المسـاء ترابـا
وأنـا أطـاول في النجـوم سماءهـا
إذ مـا يـردد في المسـامع : بابـا
ونـواظر الفتيـات تـنهش لـمّتي
فتـذمّ مـا مـلأ الـدُّنا إعجابـا
فـأعود للمـرآة أخطـب ودهـا
وأجيـل فيهـا أعينـا تتغـابى
فتعـود لـي ثكلـى تبعثـرَ قلبُهـا
بـين الوليـد ووالـد يتصـابى
فلمـن أبـوح تشـتت فيّ الخطـى
فرجعـت أحمـل للحـنين خضـابا
وأنـا أراقـب في العيـون شـقاوة
أسـتلّ منهـا في الخيـال رضـابا
مـرّ الشـباب فمـن يجـير معـذبا
مـا عـاد يملـك للشـجون جوابـا

أول السطر

في أول السـطر مـاذا بعـد قـد أصـفُ

لاأنت أنت ولا كانت لك الصحفُ

مـــاج الصـــباح أم اجتاحتـــه أســـئلة

فيها الأنين وفيها الضعف والأسـفُ

في أول الســـطر أشـــجان وأزمنـــة

ولّت ثكالى فمالَ الشـوق والشـغفُ

ومـــال ليـــل مضـــى في فـــرط لهفتهـــا

تحكـي أقاصيصـها والمنتهـى شُـرفُ

هل كـان طيفـا مضـى والليـل أسـكنه

بين الضلوع فماج الكل وارتجفوا ؟

أم كـــان حلمـــا غفـــا والليـــل يحرســـه

حتى يقول لمن في البيـت لا تقفـوا؟

أنّ الصـباحُ فمـاذا قـد صـنعت لـه؟

حتـى يبـوح بمـاض أهلـه انصـرفوا

هــذا الصــباح مضــى والمــرّ طلعتــه

فساء من قدّروا شوقا ومـا اغترفـوا

يــا ليــل مالــك تحنــو ثــم يفجعنــا

ســطر بأوجاعنــا للســهد ينعطــفُ

وكنــتَ مــؤنس كثبــان المغيــب بنــا

والنـاي يغفـو كـأن اللحـن يعـترفُ

فمــن بأوجاعنــا قــد فــضّ قصــتنا

لم يُبـق في السـطر يـاء بعـدها ألـفُ

(يا) آخـر السـطر يـا أضـغاث أسـئلتي

خذ ما تشاء وخلّ الشـوق ينصـرفُ

من أغواك؟

مَـنْ أنـت مَـنْ أغـوَاك مَـنْ ذا أركعـكْ
مـا بالهـا النّجـوى تُفتِّـتُ أضـلعَكْ
مَـنْ بَـثّ فيـك رؤىً تقـادَمَ عهـدُها
فأعـاد هيكلـها وجفّـفَ مَنبعَـكْ
دهـران في عشـق العروبـة هـائم
ويـداك قائمتـان تمسـحُ أدمعَـكْ
تُقعـي علـى مُـرّ الحيـاةِ ومـا تَـرى
مَـنْ ضـرّ أضـواء النهـارِ لينفعَـكْ
مَـنْ ألهـب المـاضي حـرارةَ شـأوهِ
ومن المـآقي كـان يصـنعُ مضـجعَكْ
فبـأي بوصـلةٍ أراك وأشـتهي
في طيـف حلمـي أن أحـدد موقعَـكْ
وبـأي صـوت أسـتغيث مـن الـردى
وحـروفي الثكلـى تهـيم لتتبعَـكْ

أتــراك وحــدك في الـمــآسي ســابحا

أم أن أعصــابي تســابقُ أذرعَــكْ؟

دهـــران أجمعُنـــا وأرتِـــق جرحنـــا

فبـأي وجـهٍ كنـتَ تنكـر موضـعَكْ

أحتــاج عمـــرا كـــي أراك مناضـــلا

لكــن حلمــي أن تقــول لأسمعَــكْ

مازلـــت منـــك وإن تنـــاثر حرفنـــا

فبـــــأي آلام أنـــــامُ لأنزعـــــكْ

هــي نكهــة الـمــاضي أغـازل حرفهـا

وأضــم فيهــا كــل صــوت رجَّعَــكْ

فاهنــأ بــذاتك حيــث بــات نصــيرها

مَــن فــرّق الــدنيا هنــاك ليجمعَــكْ

*****

بأي أشواق أراك؟

ضُـمي إليّ عـبير كفـك لسـت أول مـن هـوى
واستنشـقي مـن راحـتيّ أريـج أطيـاف الجـوي
بـيني وبينـك مـا يتيـه العاشـقون بوصـفه
ويـذوب دمـع الـمـقلتين علـى مـآقي مَـن أوى
فمـن الشـرود نسـجت أحـرف قصـة قدسـية
ذبلـت بهـا كـل الخطـوط وشـلّ أفرعهـا النـوى
ومـن اضـطرام الشـوق أخجلـت الـذين تعهـدوا
سـحر العيـون إذا اسـتفاق بـه الفـؤاد ومـا غـوى
ومـن التيـاع الوجـد مـا أنـا قائـل : مـا حـيلتي
فمعـي مواثيـق ونـبضٌ في مشـاعرك اسـتوى
مـدي يـديك سـئمت مـن قـد حرّقـوا كتـب العهـود
وفى رفوف الشوق قـد عصـروا الكتـاب ومـا حـوى

عشـــقي يعربـــد في حصـــون تعففـــي رفقـــا بـــه
ويـــداك قائمتـــان والقضـــبان كاهلـــها اكتـــوى
تتكســـــر الآهـــــات بـــــين ضـــــلوعنا ولهيبنـــــا
وعلـى يـديك يجـف في شـفتيَّ مـا قلـتُ : انطـوى
طيفـــي بلاطيـــف أراه وحلـــم عمـــرى غفـــوةٌ
غـني لهـا ضـوء السـراب علـى لحـون مـن ارتـوى
فبـــأي أشـــواق أراك مـــع الهيـــام ولهفـــتي
كانـت تسـابق في العيـون السـمر مـا خـط الهـوى
قلـبي يرفـرف بـالحنين فهـل سمعـت هديلـه
يـا أيكـة عـرف القـرارَ بهـا فغـرّد مـا نـوى
مـدي إلـي عـبير شـوقك مـا حييـت تبسّـمي
نضـب الأثـير بمـا يجـود ونـبض أشـواقي ثـوى

*****

سدرة الشوق

في سـدرة الشـوق قلـبي الآن يرتجـفُ
يصغي لمـن طوّفـوا بالضـوء وانحرفـوا
يتلـو مـع الـريح سِـفْرَ الـراحلين سُـدى
إلى بـــلاد بهـــا للشـــوق منعطـــفُ
يُلقي على النار بعضـا مـن رُقـى جسـد
يغفـو الحـنين بـه والـدمع لا يقـفُ
لا وحـــى يبصـــر لكـــن جـــذع نخلتـــه
أغـرى بـه الليـل لمـا بـات يرتجـفُ
يـــا راحلـــين إلى الـمـــعنى مســـافرة
فيّ الحـروف فمـا للشـوق يعتكـفُ؟
من مصـــر جئـت رسـولا ذاب مسـكنه
في صـاع بُـرّ وأضـنى ليلَـه الشّـغفُ
معجونـــةٌ بـــالجرار الســـمر ضـــحكته
ونـــبض حكمتـــه للمنتهـــى شُـــرفُ

يـــبني بـــه الشـــوق آمـــالا مضـــمّخة

باليـــاسمين وتحـــذو حـــذوه الزّلـــفُ

صـــلي مـــع النيـــل لا مـــوج تعقّبـــه

ولا جنـــود النـــوى في حلمـــه وقفـــوا

إن بـــثّ في الحلـــم قبـــل الفجـــر حكمتَـــه

غنّت بها في ليـالي صـفوها الصـحفُ

أوصـاح كـافور يُهـدي الـمـوج أسـئلة

أغـــرى بتفســـيرها في نخلـــه الســـعفُ

يـــا لا ئمـــي مهجـــة في الشـــوق لـــذتها

من ذاق مُـرّ الجـوى في النـوم يعـترفُ

مـن سـدرة الشـوق هـذي مصـر أرّقهـا

دفء الحنينِ فمـا للشـوق لا يصـفُ؟

رسالة إلى عربي يأتي

كُـنْ مـا تشـاءُ فأنـت الأهـل والـدارُ
وَنَـمْ قريـرَ الـرُّؤى فـالحلمُ إعْصـارُ
واهنـأ بـذاتك واسـتكمل مسـيرتها
تحتَ الترابِ وقل : في الـموتِ إكبـارُ
دهـران ترضـى ومـا تُنبيـك مُعضـلةٌ
أن الـمـآقي بكـتْ والـدَّمعُ صـبّارُ
دهران تشقى وهـل للـرُّوح مِـن جسـدٍ
تـأوي إليـه وقـد ضـاقتْ بهـا الـدارُ
دهـران تجـرَعُ كأسـا مـن لظـى فِـتَنٍ
لهـا بخـدَّيكَ طـول الـدّهر آثـارُ
ثارتْ عليك شـجونُ الـنفسِ وانتحـرتْ
عـينٌ رعتهـا بنـبض الحُلـم أسـوارُ
لا الآه أغنـتْ فقـيرا ذلّ مطعمـهُ
ولا دعـاءُ الليـالي ملّـه الجـارُ

كُــن مــا تشــاءُ ودُم لــلأرض طينتهــا

فلــيسَ للحُــرِّ بعــدَ الــذلِّ أعــذارُ

دهــران نشــقى وللأخــلاق مُعــترك

يُــدمي الفُــؤادَ وتُعلــى شــأوَهُ النــارُ

دهــران نشــقى وقــال الطــبُّ حكمَتَــه

إن غــار جرحُــك فالرّفــاءُ إصــرارُ

ومــا يــزال الــمــدَى يَلْهــو بــلا وَجَــلٍ

أنَّــى تــوارَى الــرَّدى أو جَــفَّ إنكــارُ

ومــا أزالُ بظَهْــرِ الغَيْــب مُنتظــرا

يومَ اللقاءِ فليتَ الصَّــحْبَ مــا ســاروا

أغصان الحنان

عنفـــــوان عنفـــــوان عنفـــــوان

أنـــا في عينيـــك أدركـــت الأمـــانْ

أنـــا ســـطّرت دهـــورا قـــد تولّـــت

وغمسـت الـروح في بـوح الـمـــعانْ

ومعـــي عينـــان كنـــتِ الضـــوء فيهـــا

وحـديثَ الـروح والشـوق الـمُـدانْ

ومعـــي خصـــلات ليـــل ذبـــت فيهـــا

وتنســـمتُ بهـــا ســـحر الـمـــكانْ

في وريـــدي أمنيـــات قـــد تـــدلّت

لتغيـث القلـب مـن بـوح البيـانْ

فـــإذا أدركـــتِ طيفـــي فـــاروي عـــني

إنـــني ذكـــرى لمـــن قـــال اســـتكانْ

أنـــا متّعـــت مـــن العـــين عيـــوني

ورسمـت البـوح في جفـن الزمـانْ

وحفــرت الشــوق في جــذع الأمــاني

فتنـــدّت كـــل أغصـــان الحنـــانْ

فاسكبي مـا شـئت مـن شـوق احتراقـي

وابعثـــيني مـــن دخـــان لـــدخانْ

فأنـــا مـــاض علـــى بُـــرد الليـــالي

قـد فرشـت الجفـن في جـوف الكيـانْ

رحلـــتي فيـــك اســـتقامت وشـــجوني

في ليـــالي الغيـــب أضـــناها ارتهـــانْ

فاســـكني العـــين وقِيلـــي في جفـــونى

لأرى عـــــينيّ شـــــوقا تهتفـــــانْ

جسر المشيب

ألقيت خطو الأولين ورائي

ومشيت متكئا على برحائي

ومضيت لا وطن يكرر ضحكتي

طوعا ولا حائي تلملم بائي

أمشي على جسر المشيب تحفّني

أزهار أعمار ونهر قضاءِ

أسعى على وجع الشيوخ وليت لي

قلب الشباب ولهفة الشهداءِ

خلفي مواقيتُ الذين تركتهم

بالباب يفترشون فضل ردائي

يتساءلون لم المثول حبيبتي؟

ولكم قتلتك دون أخذ عزاءِ

يتساءلون ولو رأوك لأيقنوا

أن المثول علامةُ استهدائي

يتســـاءلون ألســـت بنـــتَ نبـــوءة

كانـــت تـــدثّر بالإخـــاء عرائـــي؟

يتســـاءلون ويقـــرأون كتـــابهم

آيـــات ذبـــح دون كـــبش فـــداءِ

ويقلّبـــون علـــى شـــفير خلافهـــم

صـور الخضـوع علـى هـدير الـمـاءِ

يتســـاءلون فيـــا حبيبـــة مـــا لهـــم

شـــقوا الفـــؤاد وتـــاجروا بـــدمائي؟

ألقيـــت خطـــو الأولـــين ودونهـــم

ثقلـــت خطـــاي وذاب عـــزم إبـــائي

فـــذكرت جســـري والـــذين تـــركتهم

بالبـــاب يفترشـــون فضـــل إخـــائي

وعلمـــت أنـــي لســـت أول راحـــل

يطـــوي الإقامـــة بعـــد طـــول ثـــواءِ

فغفـــوت بـــين الـــبين أســـترق الـــرؤى

فرأيـــت وجهـــي في جـــوى رفقـــائي

اعترافات عصفور أسير

خُــذْني إليْــكَ وأشْــبعْ جــوعَ أوْلادي
غَــاضَ الطُّمــوحُ وَذابــتْ فيَّ أعْيَــادي
خُــذْني أسِــيرا فَمَــنْ للطــيرِ في وَطَــنٍ
ضَــلَّ الطَّريــقَ وأَلْقَــى فَضْــلةَ الــزَّادِ
خُذْني إليْكَ وسَلسِل ريشَ مَوْجدَتي
كــي أعبُــرَ الليــلَ في أَحْضــانِ رُوّادِي
وَسَلسِــل الضَّــوءَ في أرْكَــانِ خَاصِــرتي
فالحبــلُ حَبلُــكَ والأوْتــادُ أوْتَــادي
خُــذْني مَهيضــا بِــوَادٍ ضَــلَّ مَوْطِنَــهُ
قَــصَّ الجنــاحَ وأَدْمــى غُلّــةَ الصَّــادِي
لَطَالــمــا اشْــتقْتُ أنْ يَرتَــدَّ في خَلَــدِي
حُلــمُ الوصُــولِ إلى أعْتَــابِ صَــيّادِ
قــد كــانَ لــي وطَــنٌ في كــلِّ حَاضــرةٍ
وكنــتُ مجــدا تَــدلّى منــه أحْفــادي

وكنــتُ أطْــوي صُــروحاً عَــزّ قاطنهــا

وذقــت في حُبّهــا فخــري وأمجــادي

وكـــان يعصـــمُني جُنْـــدٌ ومملكَـــة

فبــاتَ يحرسُــني في العُــشّ أصــفادي

وشــلني الضــعفُ حتــى بــتُّ مــن أَرَقــي

أهــدي بطولــةَ زيفــي بعــض إنشــادي

خُذْني وسلسـلْ رؤىً قـد ألهبـتْ كبـدي

حتّــى أذوبَ شــجى في عــينِ عُــوّادي

نزف المساءات

دهران لم أرها فما لعقارب الساعات تنهش حلمنا
دهران والليلات يذوي ضوؤها الحاني الذي قد غرّنا
يا مَن ثويتِ بأضلعي ونواظري مذ جئتُ للدنيا جنينا
كيف السبيل وقد أتيتك طائعا من قبل أن أغشى اليقينا؟
هل حان حيني أم يداك الحانيات من الشقا نكأت جروحي؟
فثويت بين ترقّب وتوجّس أحصي الهيام بجنح روحي
من ذا أباح مجاهل النجوى وثوى بأجنحة السكونْ؟
يا حبة القلب المصفد بالطفولة وانثناءات الجفونْ
دهران لم أرها وأعلم منذ حين أنها خلقت معي
وتحملت غصص الحياة وقد ثوت مرتاعة في أضلعي
يا أيها المخبوء في جسدي الهزيل سئمت وأد بطولتي
فارفق بنفس شفّها طول المقام وصن بيارق لهفتي
شهران في جوف الحياة ولا حياة أصيح : حي على المآلْ
فيقلّني نزف المساءات الحزينة فوق أجنحة المحالْ

مـاذا جنيـت؟ ترفقـي يـا نفـس مـا أقسـاك بالشـيخ الوليـدْ
وتلطفـي إمـا برمـتُ مـن السـؤال بنـبض حبـات الوريـدْ
من أين جئت وفي يديك شـفاء قلـب أم سـياط مـن لهيـبْ؟
من أين جئت؟ وما لنفس شفّها حلم الوصول إلى الـمـغيبْ؟
من أين جئت؟ وكلما حاورت طيفك قال:قد نضب الـمـعينْ
فبأي وجه ألتقيك؟ سئمت من نزف الـمـساء مـع الشـجونْ
شـهران أعبـث باللقـاء وكـل مـا أخشـاهُ أن ينـأى اللقـاءْ
شهران والقمر الـمـوارى بالـمـساء يهيم في طلب الـمـساءْ
وأنـا أراقـب أصـدقاء العمـر بـين مصـفَّد وأخ غريـقْ
فـإلام أرقـب سـاعة مـا عشـتها إلا وفي الجـوف الحريـقْ؟
يـا نفـس رفقـا بالضـلوع إذا ثويـت وإخـوتي رهـن التيـاعْ
فلقـد أتيتـك طائعـا وخشـيت حـين نهـايتي ألا أطـاعْ
مُنّـي علـيّ بـبعض يـوم علّـني أجـد الهنـاءة في البقـاءْ
وترفقـي بحـديث نفسـي واذكـري سـرّ الـبراءة في الشـقاءْ

جاء الـمــساء وقـد تـولى مـدبرا مـذ هدهـد القلـب الهـوى
فبأي وجـه ألتقيـه؟ وقـد هرمـت جـوى ومـا هـرم الجـوى
بانــت ســعاد وكنــت أول عاشــق كــره الــبراءة في ســعادْ
بانت سعاد فهـل تعـود حبيـبتي مـن بعـد مـا ثـوت الـبلادْ؟

حتى أراك

لأنّا كبرنا
سأخلع عن حاجبيّ اندهاشي
وأصبغ خصلات شعري
بلون الحكايا
لأبقى هناكْ .
نعتّق في خافقينا الليالي
ونحصي الأماني
وبيني وبينك
ضوء العيون وهمس ارتباكْ .
وليل تخاصم فينا ضحاه
فأغرى بعينيك عين الوشاة
وأرخى عليّ سدول اشتباكْ .
لأنّا كبرنا بعين اللقاء
وما زلتِ (ليلى) بنبض الليالي
وما زلتُ أجمع منها صداكْ .

وتهتز فيّ الزهور انتشاءً
وترسم في عيني الأمنيات
جسور انسجام
لألقى سناكْ .
وأعبر فيك اشتهاء الطفولة
نبض البطولة
ليل الحكايا وطيف انتهاكْ .
تعالي نعتّق هذي الحكايا
ونعبر في حلمنا ما نشاء
على جسر شوق
بنا قد رجاكْ.
لأنّا كبرنا
فهاتي الـمـساء الأبيّ
وصُبّي غراما
ثوى في الضلوع
ليحيا فتاكْ.

*****

أيها القدر

بـــالطين تلعـــبُ أم في الطـــينِ تنـــدثرُ

مـا بـينَ جَنْبيـك نفْـسٌ شَـفّها القَـدَرُ

تجـــري وتلعـــبُ لا دُنيـــا تُعانقُهـــا

ولا لعُقبـــى بمـــا قَـــدَّمتَ تَعتـــذرُ

مـاذا أصـبتَ وكنـتَ الطِّفـلَ مُبتهجـا

وفي يـديكَ الـرُّؤى والصَّـفوُ والكـدرُ

وكنـــتَ مالـــكَ دُنيـــا أيْنَمـــا ذَهَبـــتْ

فَأَنـــتَ مَرْتَعُهـــا تَسْـــعى وَتَفْتخِـــرُ

وَلَّـــى النهـــارُ وَوَلَّـــتْ فيـــكَ رَوْعتُـــهُ

وَبَـاتَ يَجـري بِشَـيبِ الـرَّأسِ مُعتَـبرُ

فَـــأينَ نَسْـــعَى وفي الآفَـــاقِ تـــذْكرةٌ

تخْبـــو الحيـــاةُ بهـــا إنْ أيْنـــعَ الثَّمَـــرُ

يـا مَـنْ غفـوتَ علـى طَيْـفٍ وَمَوْعِظـةٍ

لا أَنْتَ أنْـتَ ولا كانـتْ لـكَ الصُّـورُ

بـالأَمسِ بِتْنـا علـى نَجْمـاتِ صَـبْوَتِنا

واليـــومَ شـــيَّعَنا في بَـــدْره القَمَـــرُ

وَأنـــتَ بـــالطِّينِ تَـــبني مَجْـــدَ زائلـــةٍ

وَتنْحـتُ الصَّـخْرَ لا تُبقِـي ولا تَـذَرُ

وَبَـــينَ جَنْبيـــكَ نَفْـــسٌ حَينُهـــا حَـــذرٌ

تَرجُو البَقَاءَ وَهـلْ في الأَرْضِ مُنْتظـرُ؟

في الطِّـــينِ مَهـــدُ حَضـــاراتٍ نُدشِّـــنُها

وَالطّـينُ أنـتَ وَمَـن بـالرُّوح يَنْـدثرُ

وَسَـوفَ تغْـدو رؤىً أضْـغاثُ رِحْلتِهـا

شَـــوقٌ وودٌّ وأضـــغانٌ ومفتخـــرُ

فكُـــنْ رحيمـــا بنـــا يـــا قـــبرَ رِحلتنـــا

وَقُـــل ترفـــقْ بنـــا يـــا أيُّهـــا القَـــدَرُ

*****

كفيف

يمشي على ضوء الفؤاد يدير أصـــ
ـــداء المـحال على أنامل سمعهِ
لا ضوء يخترق المسافات العميـــ
ـــقة في يديه وفي حرارة دمعهِ
لا شيء يبدي ما تبقى في يديـــ
ـه من اشتهاء اللمس أو من منعهِ
عرف الحياة مساء أشواق تُطـــ
ـلُّ من السكون على طفولة طبعهِ
عرف الحياة وما غفا إلا ببســـ
ـــمة بائس تجتث آهة سجعهِ
يمشي وبصمة سمعه خلف المدى
تُرسي الضياء على شواطئ دفعهِ
ويدير في ليل التذكر ما تبقـــ
ـــى من خيال فيه آلة ردعهِ

نسـي الطفولـة حيـث كـان مـلاذ وحـ
ـــدتها وموقــد شمعهــا في روعــهِ
وجثــا ببــاب الــدار منكفئــا علــى
صــوت الريــاح مســافرا في رجعــهِ
ســألته بنــتُ الجــار فضــل نصــيحة
فتمايلــت فيــه ابتســامة نفعــهِ
ومضــى يجــول بمعجــزات يقينــه
ويصــول في مهــد الخيــال لجمعــهِ
عــرف الطمــوح بكــل بيــت زاره
وأقــام أســوار الفضــول لمنعــهِ
وغفــا بشُــرفة مــارد لا يقتفــي
أثــر الســكون ولا يهــمُّ بقمعــهِ
عـرف الحيـاة ومـا رأى مـن سـرّ صنـ
ـــعتها فضــولا يســتجيب لطبعــهِ
فمشــي علــى ضــوء الفــؤاد مســبحا
بعلــو خالقــه ودقــة صُــنعهِ

*****

شمس أمي

(حتّامَ)..

قالت ..

وانحنى صوت الإذاعة

مُعلنا نعي الأمومة

حين أغراهُ الـمـصيرْ.

(حتّامَ)..

قالت وانزوى قلمٌ

وغاب الجفنُ

غادر من حديقته العبيرْ.

قالت ..

وأوصتني بأرضي

وانبلاج الشوق من ثغر اليتيمة

حين تلعبُ والصغيرْ.

كانت تمشِّطُ شعرَها

بالأغنياتِ

وبالصباح الحرِّ
حين يفيضُ بالعيشِ النضيرْ .
فمَن استحثَّ مُصابها
بأخي الـمـضرّج بالدماءِ
قميصه يُعمى البصيرْ؟.
مَنْ فضّ مُغلقَ صَمْتها
واستل من بين الضلوع الحانيات
دليلَ إرهاق العصورْ؟
مَنْ غرّها حتّى تُصرّحَ
للغيوم اللائذات بصدرها
من بعد ما صمتتْ دهورْ.
مَنْ حضّها حتّى تثورَ ؟
أحضَّها الـمـاءُ الـمـشُوقُ إلى الخريرْ ؟
أمْ حضَّها شَوقُ الطيورِ
لدفء عُشٍّ
عافهُ ضَوءُ السُّرورْ؟.

(حتّامَ)..

آخرُ ما استراحَ به اللسانُ

وصرَّح القلبُ الغيورْ.

قالت ..

وكُنّا نَصنعُ الإصرارَ

مِن رشح الجبينِ إذا تلألأَ في الهجيرْ.

فمن استحلَّ صفاءَنا الدريَّ

أغمضَ أعيُنا

في طرْفها سِحرُ الـمـصيرْ؟

(حتّامَ) ..

غابتْ شمسُ أُمّي ..

واضمحلَّ الشَّوقُ وانقطعَ الأثيرْ .

*****

مذكرات رسام أعمى

عُوجـــوا إليّ فقـــد عشِـــقتُ ظلامـــي
لـــيْلانِ أحفـــرُ والنقـــوشُ عظـــامي
لـــيْلانِ مـــا أجـــدُ ابتســـامةَ مبسِـــمي
فـــالحلْقُ مـــرٌّ والـــدُّموعُ دوامـــي
لـــيْلانِ أرســـمُ لوحـــةً غجريـــةً
صَـــخريةَ الألـــوان والأحـــلام
قـدمٌ علـى طَـرْف الصّـِراطِ وقـارِبٌ
طـــالَ الحـــنينُ بـــهِ ليـــومِ مُقَـــام
ويـــدانِ تَعتَصـــرَانِ مطمـــحَ أُمَّـــةٍ
ويجفِّـــفُ الآلام جـــوعُ ظَـــوامي
لا دربَ أبصـــرُ كـــي أصـــوغَ للـــوحتي
ظِـــلا يضـــيءُ بهـــاجسِ اســـتلهام
عبثـــا أحـــاولُ مـــا تطـــاوعُ ريشَـــة
ذبـــل الحـــنين بهـــا فـــأنّ غرامـــي

شـاختْ بـيَ الأحـلامُ والطفـلُ انحنـى

وبقيـتُ أعصـر لـونَ ظـلّ هُيـامي

لـيلان مـا أغْفـو وقلـبي نـابضٌ

وَبلـوْحتيَّ شَـواطئُ اسْـتجْمام

والـمـرجِفونَ يُحـددونَ إقـامتي

بـينَ الرسـومِ وشَـاطئِ الأوهـام

لأظـلُّ أصـرخُ مـا يجـاوبُ لهفـتي

دمـع العيـون ولا نـذيبُ سـقامي

فبقيـتُ لا ظـلٌّ هنـاكَ ولا مَـدَى

يُـدني لحلمـي مـا أقـرَّ مـنامي

حسـبي رسـومٌ كنـتُ آخـرَ عهـدِها

قبـلَ اسـتراحةِ زَيتهـا بخيـامي

*****

دمعة ثكلى

قتلـوكَ مـاذا في رثائـك يـا ابـن أمـي قـد يقـال ويفعـلُ؟

ليـلٌ يـئنُّ ودمعـةٌ ثكلـى بأحـداق الـمـدَى تَتَمَلْمـلُ

قتلـوكَ كـي تحيـا هنـا وأنـا هنالـكَ بالشـجونِ مُـجَنْدَلُ

لم يَعْلمُـوا أنّ الطعـامَ بـدون بَسْـمتكَ الشـهيةِ حَنظـلُ

لم يَعْلمُـوا أنّـي إذا أغمضـتُ جفنـا قـام جفـنٌ يسـألُ

لم يُـدْركوا كُنـهَ النهـارِ إذا ثويـتَ وضـوء عمـرك يُنهـلُ

قتلـوكَ أم أحْيَـوا بثـأركَ مُهجـةً في نـبضِ مَـنْ يتأمـلُ؟

قتلـوكَ غَـدْرا فاسـتووا حِـممـًا تثـورُ ولعنـةً تَتَنـزَّلُ

قتلـوكَ يـا لِـدَمِ الشـهيدِ يُـراقُ مَسْـفوحًا فيـذْوي هَيكـلُ

مَنْ جَرَّأَ الجاني عَلَيكَ ؟ وَمَنْ قَضَـى ؟وَبـأيِّ ذَنْـبٍ تُقتـلُ ؟

قَتلـوكَ يـا دِرْعًـا ثَـوَى وَثَـوَى بواجِبـهِ الـمـقَدَّسِ جَحْفَـلُ

وَرَمَـوا طُمُوحَـكَ كـي تَـئِنَّ فَمَـا رَأَوا إلا شُـمُوخا يُوغِـلُ

مـاذا أخُـطُّ وَقـدْ كسـوتنيَ الأَسَـى وأنـا هنـاك أُزلـزلُ؟

سالتْ شجونُ الحرفِ مِن دَمِكَ الـمـراقِ فأيُّ شِـعرٍ يُقبَـلُ؟

قَتلوكَ مـا قَتَلـوكَ كَيـفَ يَنـالُ مِـنْ طُهـرِ الصَّـفاءِ مُضَـلّلُ؟

قَتلـوكَ أَنْـتَ بِصَـدْرنا آيٌ علـى سَـمْعِ الـمـدَى تَتَنَـزَّلُ

أمام الدار

أمام الدار
كان يصف شيشته
وينفخ في سماء الود
مثقالا من الأعذارْ.
ويروي
كيف أخضعنا جيوش الغدر
أخمدنا شجون الصدر
أخرسنا لهيب النارْ .
أمام الدار كان الأهل والجيران
يحتلون في الأحداق
كل سوالف الأقدارْ.
وتحت التوت
كان يردد الغافي مع الحافي
حكايا الثور والجزارْ .
وصوت أبي يجوب الأرض

محفوظا بظهر الغيبِ
محفورا على عيدان سقف الدارْ .
وكنت أنا مع الأولاد
نُحصى جبهة قامت
من الأعواد والإصرارْ .
وكان الودُّ أنساما
تداعبُ شَعرنا الغافي
على جبهاتنا الغرقى
برشح الجهد ممزوجا بذرّ غبار .
يُطيلُ البطُّ صُحبتنا
ويعزفُ في مجاري الـمـاء
أصْنافا من الأشعارْ .
أمام الدار ..
ليتَ الدَّهرُ ما ولّى
وليتَ الصفوَ ما خارتْ قُواهُ سُدى
مع الجوّال والسُّمـّارْ .

*****

يوميات رسام أعمى

مـــا للســـواد هُنـــا أغوتـــهُ فُرشـــاتي
تُبـدي بـه أدمعـي في جـوف آهـاتِي
وكـــمْ أردتُ فخـــانَ الضـــوءُ ذاكرتـــي
حتـى رسمـتُ بـه كـلّ انكسـاراتي
أيّانَ أصـحُو فـلا مـأْوى سِـوَى خَلَـدي
أُبـدي بـه مـا خَلَـتْ منـهُ ابتسـاماتي
وحـــينَ أخْلُـــدُ أشْـــباحٌ تُلاحقُـــني
فتسكبُ الحـبرَ أضـغاثُ الـمـساءاتِ
ولسـتُ أبكـي غرامـا كنـتُ أعشـقه
فقـد رسمـتُ بـه نفسـي بلوحـاتي
وقـد سـلوتُ بـه عـن كـل موعظـة
مـا حركـت ليـل همِّـي في حكايـاتي
لـي سـنبلاتٌ بحجـم الأرض أبـذُرها
وأنثـــرُ النـــور ألوانـــا بفُرشـــاتي

فــلا تقولــوا كفيــفٌ ضــلَّ موطنَــه
عــافَ الحيــاة وأدمــى لوحــةَ الآتــي
ولا تراعــوا لعَــينٍ غــابَ شــاهدُها
فقــدْ نقشــتُ بهــا في الــمــنتهى ذاتــي
وقــدْ مــلأتُ بهــا أدراجَ خــاطرتي
وذقــتُ في نأيهــا طعــم العبــاراتِ
رسمتُ مِعطف (جوجولٍ) فمــا برحــتْ
هياكــلُ اللضــوءِ تجتــثّ انكســاراتي
وجُبــتُ عقــدةَ (أوديــبٍ) فأدهشَــني
ســحرُ البكــاء وعنقــودُ الجراحــاتِ
وصمتُ عــن خــاطري فانبــثَّ في أَلَقــي
ضــوءٌ يسـيلُ علــى ظــلِّ الــمــسافاتِ
وقلــتُ حســبي رســومٌ كنــتُ أعشــقُها
حتى يــوارَى الثَّــرى ضَــوءُ ابتســاماتي

*****

مذكرات محاصر

أرخـــوا الســـكون بشـــاطئي ســـنينا

فالـمـــــوج هـــزّ الضـــفتين جنونـــا

دهـــران أسـعى خلـف قـارب رحلـتي

ويـــداي تفـــترش الرجـــاء حنينـــا

وتفـــر مـــن شـــفتي عذوبـــة منطقـــي

ويـــذوب دمـــع الشـــوق فيّ أنينـــا

وأعـــود أحلـــم بـــالعبور مناضـــلا

أهْـــدَى الصـــهيل لـــمقلتيه جفونـــا

كنـــا يـــدفئنا الـمـــــساء فمـــن رأى

طفل الصباح مع الـمـساء سجينا؟

دهـــران يلـــتقم الســـكونَ بمهجـــتي

حمـــــمٌ أذوب بحرّهـــــا مجنونـــــا

فمـــن اســـتثار مصـــابنا بفـــم الجـــوى

واجتـث مـن جفـن الضـياء عيونـا؟

ومــن اســتباح جراحنــا بــدم النــوى

واحتـل باسـم الـمــعضلات الـدينا؟

أنــا مــن تــراب الأرض خضــبه الألى

أرخـــوا ســـنابل مجـــدنا زيتونـــا

أنـــا حلـــم إشـــراق ونبتـــة عـــزّة

ويقـــين إخـــلاص يبـــدِّد هُونـــا

أنـا مـن تـراث الأرض عزمـي شـرعتي

مــذ كنــت في رحــم البطولــة جينــا

أرخـوا السـكون ففـي الوريـد محاصـر

مـا كـان رغـم الـمــعضلات جنينـا

حكايا أبي

قال انتصرنا
يوم قال الحُرّ للغيمات
غُرّي غيرنا
فسنابل القمح الأبية
ليس مرتعها معكْ .
بل يوم عرّى صدره للريح
غنى كلُّ من ذاق الشقاء
لقُبّة الأقصى
وأرخص في الحروب الروحَ
صمّمَ واشتبكْ.
ولقد حكى عن ضحكة الجرحى
وأحلام الشباب
وصيحة الإنذار
في ليل تطاول وارتبكْ.

قال انتصرنا

قاطعت أمّي الحكايا:

عندما كان الشتاء يحضّنا

حتى نفيء إلى صدور الأهل

نرشف دفء آيات الهدى .

نتقاسم اللقمات

نبذُل خيرنا

ونذوب في طهر الـمـساء الغضِّ

نبحث عن حكايانا البريئة

في أغاريد الندى .

نروي أهازيج الحكايا

عن بطولات

تفيء إلى جدار

كان يؤوي ثلة الجرحى

ليبعث من ثناياها الـمـدى .

*****

قال انتصرنا

ثم غاب النصر

بل غاض الصفاء

ومات جدي وانهزمنا

وانحنت كل الشهبْ .

مات الـمـداوِي والـمـداوَى

واستبيح الحصنُ

وانكفأ الحصانُ

وداهم الأعداءُ أبراج العربْ .

وبقيتُ أُنصتُ للحكايا

لا أُسيغ مرارة الآتي

لأبقى في شواظٍ مِنْ غضبْ .

*****

يوميات عربي مدان

ألقُـوا الحجـارةَ واسـتبقُوا النُّهـى قَلقـا
ودجّجوا الأفقَ في وجهِ الـمدى فَرَقـا
الآن أغفــو بيــاب القلــبِ مُفْترشــا
فصلَ السُّكونِ وعَهْـدا للجـوى خُلقـا
أنْسَــابُ غيمــاً بِــوَادٍ غَيْــرِ ذِي ألــم
وَأعْبُــرُ البَــوْحَ لا أرْجُــو بِــهِ غَرَقـا
وأحمــل الــروح ملتفّــا بلوعتهــا
أنقّـب الأرض عـن حلـم قـد انعتقـا
أسـتلُّ صـوتا سَـرى في الأفْـقِ مُبتئسـا
وبعضَ طيفٍ مضى في الـنَّفس مخترقـا
وبــين كــل رؤى أَصْــطَفُّ مُفْتَرِشــاً
ثَوْبَ الرَّجَاءِ وأحصــى للـرُّؤى ورقـا
وكنــتُ بــين الــدّجى أصــداءَ ظُلمتهـا
وفجــرَ ليــل تــدلّى ضــوءُه فلقــا

يقــولُ هــذي شــجونٌ ذابَ شــاهدها

فــلا تبــالي وأرســلْ حبلــها قلقــا

هــــذا رفــــاتُ زمــــانٍ عــــقّ خالقــــه

وهـادَن الـنفس والشـيطان مـذ خلقـا

قــد أمّ عامــا وأدمــت نــبض لهفتــه

ريـحُ الخـلاف تـدقُّ الجِـذعَ والورقـا

ولســــتُ أول داع قــــال : حســــبكم

آنسـتُ نـارا طـوَت في حَرِّهـا الطُّرُقـا

وحــين ألقَــوا رُفــاتي تحــتَ أرجُلــهم

وأَقسَـموا بالضُّـحى والليـلُ مـا وَثقـا

أغلقتُ بـابي لحلمـي واسْـترحتُ مَـدًى

فصـادَروا لهفـتي واسْـتعبروا : صَـدَقا

رائحة الجهاد

يا راحلا في الضوء
محمولا على كتف السماء
تعيد للماضي سناءهْ .
يا رحلة الـمـجد الـمـشوق
وتوق أنفاس الأسير
لفارس يمشي وراءهْ.
يا دمعة الثكلى
على زهر الشباب الغضّ
قد أفنى العويل عزاءَهْ .
نضُب الـمـعين
وولولت شهب السماء
وقدَّ كل الـمـرجفين بأدمع الشكوى رداءهْ.
شاخ الطموح بنخلنا
وذوى الضياء بأرضنا
وتعهد الـمـاضي خباءهْ.

ومشى الـمـغول
على ضريح الضوء
يُحصون الضلوع بأرضه
ويفاخرون بها سماءهْ .
حتى بكت سحب الجهاد
ولوحت بالجدب أنواء السماء
وباركت انحناءهْ .
بردى ينادي النيل أين صلاته
وفرات بنت الشام
تنتظر التقاءهْ .
من غير أصداء الطموح بتدمر
وأريج زهر الغوطتين تزفه
أعلام من يُعلي على لحن الحياة لواءهْ .
قم يا ابن أم
فدتك رائحة الجهاد بمجدنا
أدرك شجون الشام

واستحضر من الـمـاضي بهاءهْ .

من غير رهطك

يخمد الآه الجريحة

بعد أن ذبل الطموح

وأرهق الضعفُ اجتراءهْ .

قم يا ابن أم فما لها من كاشف

عزّ الفراق بأرضنا

وتهيّب الحر التقاءهْ .

يا راحلا في الضوء

جفّ نداؤنا

فاكتب عهود صلاحنا

واسكب على موج التَّبتّل ماءهْ .

*****

دمع الوشاية

مـــن أيـــن نبـــدأُ والحـــروفُ تمـــورُ؟
والـــريحُ تعصـــفُ والـــزفيرُ دبـــورُ
أهنـــا يُـــراقُ مـــن الوشـــاية ماؤهـــا
أم وعـــد عرقـــوب ودهـــرٌ بـــورُ
خصـــمان في نـــدب الحـــروف تصـــالحا
جـــارٌ يـــئن وبالشـــقا مجـــرورُ
لا صـــوت نســـمعُ غـــير عِـــرق نـــازف
ونعيـــبِ غربـــان حـــداهُ غـــرورُ
وأخٍ تـــبرّأ مـــن قداســـةِ أصـــلهِ
فمحـــا شـــهيقَ الحـــق منـــه زفـــيرُ
أهـــي البســـوسُ ؟ تمزّقـــت فينـــا الـــرّؤى
فالنـــايُ نـــدبٌ والصـــفيرُ زئـــيرُ
ولظـــى تلظّـــى في جحـــيم ســـعيرها
نـــبضُ الوليـــد وحزنـــهُ الـــمـــقهورُ

وغـــدٍ بطعـــم الغيـــب نرقـــبُ ظلـــه

فيُطـــلُّ مـــن خلـــف الغمـــام ســـعيرُ

يُلقـــي علـــى الأعقـــاب آهـــة ذلّـــهِ

ويُخطّـــفُ الأحـــلامَ منـــه ثُبـــورُ

عينـــــان ترقـــــبُ آهـــــة مكبوتـــــة

ويـــدان في بحـــر الـــدماء تـــدورُ

والســـائرون علـــى شـــفير خلافهـــم

لا يهتـــــدون وســـــعيهم مثبـــــورُ

مـن أيـن ..سـالت في الحـروف دماؤنـا

فلكـــل نـــبض في الوريـــد خريـــرُ

سِـلمٌ بطعـمِ الحـربِ يـا ويـح الـذي

أبكـــى القلـــوبَ ودمعُـــه مقبـــورُ

يتامى

السـائرون إلى ثـراك نيامـا

لم يسـألوا سـحب الغمـام إلامـا

لم يـدركوا أسـرار دجلـة بعـد مـا

ألقـى الفـرات برافديـه شـآما

لم يحفظـوا حكمـا عرفـت مرادهـا

لمـا رأيـت علـى القصـور حمامـا

لم يـدركو كنـه الصـمود إذا بكـى

فترملـت في خافقيـه أيـامى

لم يدركوا نـزف الحـروف إذا مضـت

فانسل من لهـف النشـيج ضـراما

قـال الحواريـون نفـترش الثـرى

ونحوك من وجـع السـنين عظامـا

فالسـائرون نسـوا لهيـب قلـوبهم

لمـا استسـاغوا في العيـون ظلامـا

قـالوا وقـد وهبـوا لهيـب حـروفهم

حكمـا تقـال وبـاطلا يتنـامى

لاتبتـئس إن كنـت فـردا واحـدا

فلطالمـا طلـب القطيـع إمامـا

والـذاهبون إليـك في ثـوراتهم

سرقوا العيون وغلّقـوا الأحلامـا

مـا عـاد ينبـت في العيـون رواؤهـا

أو عـاد يرتقـب المصـاب صـداما

فالسـائرون إلى ثـراك بأرضـنا

لم يفطنـوا أن الحـروف يتـامى

سـكتوا مليّـا ثـم صـاح كـبيرهم :

كُفّوا العيـون وأخرسـوا الأقلامـا

فالثـائرون مضـوا ومـا تركـوا هنـا

إلا الليـالي الحـائرات خيامـا

*****

الـمـجد للزيـتون

مضى الـمـاضون
من أفتوا
بأن الـمـجد بعد الـمـوت للأحرارْ .
ومن خافوا ومن جبنوا
ومن صاموا عن التجديف
عكس بوارح التيّارْ .
مَضتْ أمٌّ
تواري دمع لهفتها
على أطفالها الهلكى
بأثواب من الإنكارْ .
مضى بطل
يحضُّ الخطو توّاقا
إلى وطن به يُطوى
كيانا مرهف الأنوارْ .
مضى فتضاءل التاريخ
وانحدرت بنا الطرقات
والتفت بنا الأقدارْ .

مضى فاستُعذِبَ الصّبارُ
ذاب الحلمُ
واستحيا شعاع الشمس
واصطفّت بنا الأسوارْ.
وقال التين قولته
بأن الـمـجد للزيتون
عند تخاذل الإصرارْ .
وأن دفاتر الذكرى تقلبنا
بلا مأوى يدير الروح
بين أصابع الإعصارْ.
وأن تراثنا الغافي
يصوغ خطابنا الآتي
على عهد مع الصبار والأزهارْ.
مضى الـمـاضون
وانحدرت بنا الطرقات
هل تصفو لنا الغيمات ؟
فاضت بالدموع العين
ألقى الفجرُ زخّاتٍ من الأعذارْ .

*****

عن المؤلف

د. عبد الحميد محمد عبد الحميد بدران .

أكاديمي مصري يعمل أستاذا للأدب ونقده في جامعة الأزهر ، له كثير من الدراسات الأدبية والنقدية المنشورة في عديد من المجلات المصرية والعربية ، وله عدد من الأعمال الإبداعية شعرا ونثرا ، منها :

- ابن الريف (سيرة روائية).
- رحى الذكرى (ديوان شعر).
- دفء الحنين (ديوان شعر).
- شاطئ السلوان (ديوان شعر).
- فصل السكون (ديوان شعر).
- سحابة صيف (مقالات أدبية).
- الرسالة (رواية) .
- أوراق (مجموعة قصصية).

البريد الالكتروني : ahmadbadrann@gmail.com

الهاتف : ٠١٢٨١٨٦٧٧٥٩ - ٠١٠٣٣٩٥٠٠٣٩

فهرس الديوان

بين يدي الشعر	٣	سلام	٤٧
تائبة	٥	درب العيون	٤٩
فتى اليقطين	٨	حنين	٥٢
متن الرؤى	١١	ثائرة	٥٥
طيفها	١٣	أطياف حيارى	٥٨
صلاة الوجد	١٥	راحل والموج	٦٠
دفء الهوية	١٧	بين السجن والمنفى	٦٢
مقام العشق	٢٠	إلى المقصلة	٦٤
الشراع	٢٤	طال ليلك	٦٧
دفء الحنين	٢٦	لا تلمني	٧٠
أصول العشق	٢٨	طرفك الباكي	٧٢
هيت لك	٣٠	لا تسأليني	٧٤
نبض الأرق	٣٣	لا تعترف	٧٦
أبرهة	٣٥	لم تطلبي البوح	٧٨
لا عاصم اليوم	٣٧	سأعترف	٨٠
أثير الشوق	٤٠	رسائلي	٨٢
ماء الصبابة	٤٢	موج التبتل	٨٤
أشلاء الفراق	٤٤	دفتر التاريخ	٨٦

متى يجف الجرح	٨٩	نزف المساءات	١٢٨
أضغاث أحلام	٩١	حتّى أراك	١٣١
كان حلما	٩٣	أيها القدر	١٣٣
تنويمة الجياع	٩٦	كفيف	١٣٥
مرثية لدم حرام	٩٨	شمس أمي	١٣٧
غصن الصبابات	١٠١	مذكرات رسام أعمى	١٤٠
وجعي القديم	١٠٣	دمعة ثكلى	١٤٢
جسر الرؤى	١٠٥	أمام الدار	١٤٤
سكون الأضرحة	١٠٧	يوميات رسام أعمى	١٤٦
طيف الشباب	١١٠	مذكرات محاصر	١٤٨
في أول السطر	١١٢	حكايا أبي	١٥٠
من أغواك	١١٤	يوميات عربي مدان	١٥٣
بأي أشواق أراك	١١٦	رائحة الجهاد	١٥٥
سدرة الشوق	١١٨	دمع الوشاية	١٥٨
رسالة إلى عربي يأتي	١٢٠	يتامى	١٦٠
أغصان الحنانْ	١٢٢	المجد للزيتون	١٦٢
جسر المشيب	١٢٤	عن المؤلف	١٦٤
اعترافات عصفور أسير	١٢٦	فهرس الديوان	١٦٥